جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســـم العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
أمينة الغربي

يوم: //

نقد النظم والأحكام الأخلاقية عند فريديريك نيتشه

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
فتح الله كشكار	أ. مح ب	بسكرة	المشرف
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية : 2020-2021

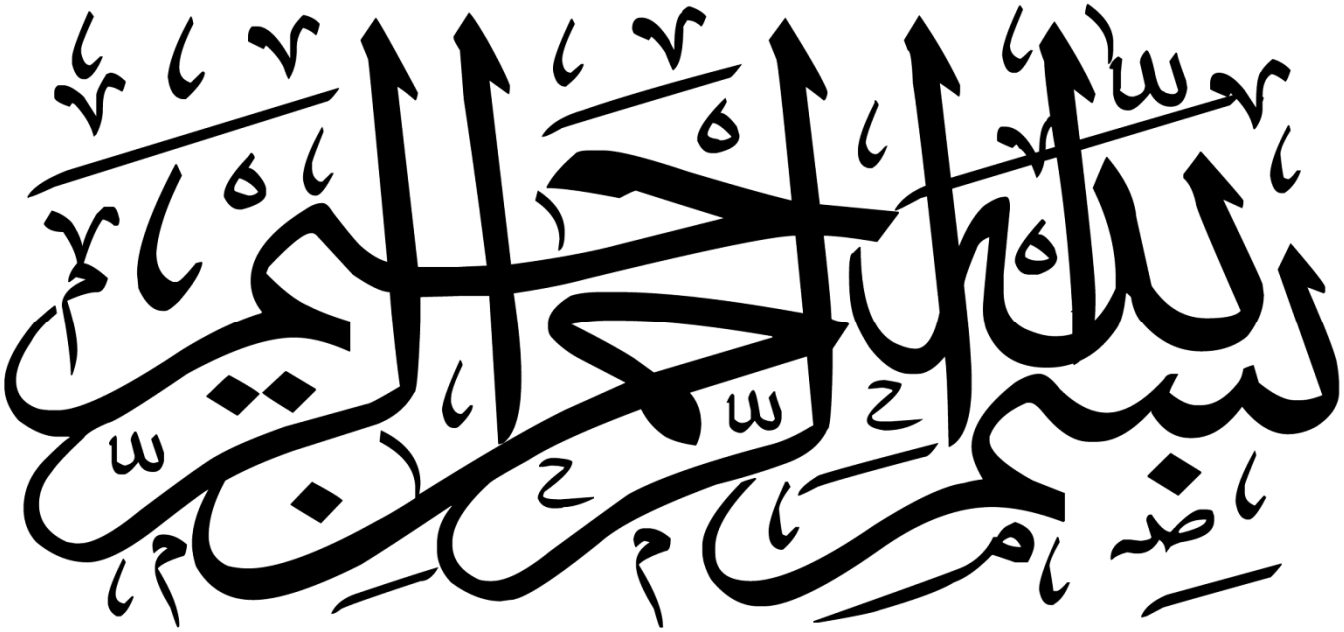
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار علينا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في إتمام هذا العمل.

نتقدم بأسمى آيات الشكر والإمتنان والتقدير إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى جميع أساتذة الفلسفة الأفاضل دون استثناء ونخص بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور" **كشكار فتح الله** " المشرف على بحثنا هذا، وكذلك نشكر كل من ساهم في إتمام هذا البحث وقدم لنا يد العون ومهد لنا يد المساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة لانجاز هذه المذكرة من قريب أو من بعيد وإلى كل من ساعدنا ولو بكلمة طيبة.

وشكـــــرا

خطـــــة البحـــــث

مقدمة

الفصل الأول: السياق التاريخي لتطور فكر نتيشه

تمهيد:

أولا: نتيشه الفكر والشخصية.

أ. حياته وتعليمه

ب. نشأته الفكرية (فلسفته)

ج. مصادره الفكرية.

ثانيا: الإطار الإشكالي للسؤال الأخلاقي (الأخلاق باعتبارها نظرية التراتب بين البشر).

أ. التطور الأخلاقي

ب. الأخلاق باعتبارها نظرية التراتب بين البشر

خلاصة

الفصل الثاني: المرجعيات الفلسفية والتاريخية الأخلاقية في فكر نيتشه

تمهيد

أولا: نقد الأخلاق التقليدية

1.1. المحاولات التأسيسية النقدية للأخلاق

أ. نقد الأخلاق الفلسفية

ب. نقد الأخلاق المسيحية باعتبارها أخلاقا للعبيد .

ج. التعارض بين دوافع الأخلاق المسيحية ومبادئها.

د. الأخلاق المسيحية.

ثانيا: تأسيس الأخلاق الجديدة على إرادة القوة

1. **الطابع الإستمولوجي التأويلي للأخلاق**

أ. إرادة القوة

ب. الوجود بوصفه تفسيرا

ج. القوة في المجتمع

د. العود الأبدي ونتائجه الخلقية.

2.2. **الركائز الأساسية لتأسيسة الأخلاق النيشتويه.**

أ. القوة بوصفها معيار للتقييم الخلقي.

ب. العلو على الذات ومعناه الحقيقي.

ج. الإنسان الأعلى بوصفه هدف أخلاق القوة .

خلاصة:

الفصل الثالث: أثر الفكر الأخلاقي لفريدريك نيتشه.

تمهيد:

أولا: تأثير نيتشه على الفكر العربي (الفلسفة الأخلاقية النيتشويه وأثرها في الفكر العربي والمعاصر بين الرفض والتأييد).

أ. نيتشه عند دعاة التقدم العرب

ب. المنهج الجينيالوجي بين ترحيب المفكرين العرب ورفضهم

ج. هشام شرابي تحت شجرة نيتشه

ثانيا: نقد المركزيات الدينية والأخلاقية

أ. نقد الفكر الديني

ب. نقد الفكر الأخلاقي

ج. العدمية وأثر النقد النيتشوي في الفلسفة المعاصرة

خلاصة

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

مقدمـــــة

مقدمـــة:

لاشك أن مشكلة "الخير" و"الشر" تمثل الحجر الأساس بالنسبة لكل فلسفة خلقية، بحيث نستطيع أن نقول: أن كل فلسفة خلقية ما هي إلا محاولة من جانب الفيلسوف للإجابة عن السؤال المتعلق بمسالة "الخير" و"الشر"، ففلسفة نيتشه هي إحدى المحاولات التي تنشد الوصول إلى إجابات محددة عن هذه الأسئلة التي تنبثق من السؤال الأخلاقي، وهي إجابات مختلفة عن تلك التي قدمها الفلاسفة السابقون عليه ومتميزة عنها على النحو الذي يجعلها نسيج وحدها، كما وأن جوهر فلسفة نيتشة لم ينبثق أصلا من قراءة هؤلاء الفلاسفة، ولكنه بالأحرى قد انبثق من تأمله في البيئة الإغريقية في الفترة السابقة على "سقراط"، فان نيتشه لم ينعزل عن التيارات الفكرية والفلاسفة والمفكرين بكافة تياراتهم ومذاهبهم على الرغم من تجاوزه اللاحق لهم ذوي اثر كبير في ثورته الأخلاقية.

لقد أحدثت الثورة الأخلاقية التي فجرها نيتشة انعطافا مهما في الفكر الأوربي، ولما كان المنهج الجينيالوجي هو الأساس الذي اتكأ عليه نيتشة في ثورته تلك فإن هذا دفع به إلى أن يقوم بهذا الانقلاب العارم على أسسها وذلك من خلال إظهاره للتراتب الأخلاقي وحقيقته الجينيالوجية، وهذا فضلا على بيان كيفية انتقال الإنسان وتراتبية الأخلاق بين البشر بوصفها ممارسة فلسفية تقف ضد أي مركزية أخلاقية أم دينية كانت، وذلك من خلال استبدال الإنسان بسلطة البناءات ومحاولة تقويضها بانتقالية الإنسان من إنسان العبد إلى الإنسان الأسمى.

إن أهمية هذا الموضوع تبين لنا توجهات الناقد المعاصر لتحليل وتأويل الحكم الأخلاقي الذي يقود الباحث إلى طرق يسهل عليه تأويل أي بناءات المشكلة للفكر الإنساني بصفة عامة خاصة منها البناء الأخلاقي وفضلا على بيان كيفية انتقال الإنسان وتراتبية الأخلاق بين البشر بوصفها ممارسة فلسفية تقف ضد أي مركزية أخلاقية أم دينية كانت،

من خلال استبدال الإنسان بسلطة البناءات ومحاولة تقويضها بانتقالية الإنسان من إنسان العبد إلى الإنسان الأسمى، وأيضا نجد إسهامات فريدريك نيتشه في طرحه لفلسفته من خلال مساءلته المفاهيمية والتاريخية وذلك عن طريق إظهاره للتراتب الأخلاقي وحقيقته الجنيالوجية

فكيف تم عقلنة هذه المساءلة المفاهيمية التاريخية في تطور فكرة النظم والاحكام الاخلاقية عند فريدريك نيتشه؟

أهداف البحث:

الهدف من هذا البحث هو التعرف على أبرز المفكرين الذين كان لهم دورا كبيرا في الفكر الغربي المعاصر، الذين اهتموا بعملية تحليل مسألة النظم والأفكار الأخلاقية.

أسباب اختيار البحث:

- أما بالنسبة لأسباب اختيارنا لهذا الموضوع ترجع إلى دوافع ذاتية وموضوعية.
- **الدوافع الذاتية:** من بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هو إعجابي بهذا المفكر النقدي وخاصة في طريقته التقويضية لمختلف فلسفته خاصة منها الإنسان وكذلك قلة الدراسات العلمية والفكرية التي تناولت فكرة النظم والأحكام الأخلاقية بالطريقة النقدية، خاصة التي تجتاز أرض الأخلاق الخفية، البعيدة، الواسعة، الأخلاق كما وجدت وعاشت بالفعل كما خطط لها نيتشه في حد ذاته، وذلك بأسئلة جديدة تماما وبعيون جديدة.

- أما بالنسبة **للدوافع الموضوعية:** نجد أن موضوع الأخلاق يندرج ضمن التخصص الذي نحن بصدد دراسته، المتمثل في " فلسفة الأخلاق في الفكر الغربي المعاصر" لذا أردنا البحث عن أهم المفكرين المعاصرين الذي كان لهم دورا كبيرا في مجال هذه الدراسة، إلى جانب هذا أن موضوع "الأخلاق" خاصة "جينالوجيا الأخلاق" موضوع معاصر، وأيضا يدخل

هذا البحث في إطار فلسفة النقد كون أن الفلسفة علما والنقد إبداع فكل مفكر هو إما فيلسوف أو نقدي فلا يمكننا تصور ظاهرة نقدية بلا خلفية فلسفية.

– ولقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على منهج، تبين أنه الأنسب في معالجة هذا الموضوع وتمثل في:

المنهج التحليلي: وهو المنهج الغالب على البحث ويظهر هذا من خلال تحليلنا آراء وأفكارنا فريدريك نيتشه في بعض من المصادر والمراجع المتمثلة في البحث التاريخي في تطور النظم والأحكام الأخلاقية وماذا يعنى بها أي النظم والأحكام الأخلاقية وأهم خصائصها وأبرز مرتكزاتها ومميزاتها، إلى جانب توظيف منهج مساعد وهو المنهج المقارن الذي تم توظيفه في مقارنتنا بين تأسيس الأخلاق القديمة وبين الطابع الابستيمولوجي التأويلي للأخلاق لنيتشه المؤسس على إرادة القوة ولقد جاءت خطة بحثنا تنقسم إلى ثلاثة فصول انطلاقا من طبيعة تناول الموضوع وتدرجه المعرفي، لذا قمنا بتقسيم بحثنا إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

جاءت المقدمة: تتمحور حول الموضوع الذي اخترناه عنوانا لبحثنا هذا، بداية بتمهيد ثم التعريف بالموضوع ،وبعدها تطرقنا إلى إشكالية هذا البحث، وتحدثنا عن أهمية الموضوع وأهدافه التي دفعت بنا على اختيار هذا الموضوع، لنصل إلى المنهج المتبع في إعداد هذا البحث،

وفي الأخير تم ذكر الخطة التي رسمناها وأهم والصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذه المذكرة.

أما الفصل الأول بداية بالتمهيد ثم التعريف بالشخصية فريدريك نيتشه وتطرقنا إلى مفهوم الأخلاق والتطور التاريخي للمفهوم وصولا إلى تعريف الأخلاق عند فريدريك نيتشه، وبالنسبة للفصل الثاني تم بناءه بتمهيد وبعدها تطرقنا إلى المحاولات التأسيسية للأخلاق الجديدة عند فريدريك نيتشه وذكرنا فيه بعض وابرز مرتكزاتها، أما الفصل الثالث أيضا يضم

التمهيد وأثر الفكر الأخلاقي النيتشوي، مبرزين دور نقد المركزيات في الفلسفة المعاصرة وصداها على الفكر العربي.

وأخيرا ننهي بحثنا بخاتمة تتضمن أهم ما توصلنا إليه من نتائج، محاوليين الإجابة عن أهم ما طرحناه، من مشكلات الفلسفة الأخلاقية.

أما بالنسبة **للمصادر والمراجع** التي اعتمدنا عليها في انجاز خطة بحثنا فلقد اعتمدنا على بعض مصادر فريدريك نيتشه باللغة العربية والإنجليزية، وبالنسبة للمصادر المترجمة عنه باللغة العربية، وجدنا العديد منها: أهمها "فلسفة الأخلاق لفريدريك نيتشه " ليسرى إبراهيم" وعبد الله عبد الهادي المرهج من خلال كتابة " نقد المركزيات في فلسفة نيتشه" وبالإضافة إلى" جمال مفرج" من خلال كتابة الإرادة والتأويل "تغلغل النيتشويه في الفكر العربي" وبعض القواميس والموسوعات والمجلات والمقالات والمنتديات.

ومن بين **الصعوبات** التي واجهتنا إبان إنجاز هذا البحث أهمها: اختلاف الترجمات وعدم إتقان اللغة الألمانية ومقارنتها بين النصوص الأصلية والمترجمة، إلا أن رغم من كل هذه الصعوبات إلا أننا رغبنا في إنجاز هذا البحث المتواضع لتوضيح ولو جزء صغير خطة نيتشه الأخلاقية.

الفصــل الأول

السياق التاريخي لتطور فكــر نيشته

أولا: نيتشه الفكر والشخصية

ثانيا: الإطار الإشكالي للسؤال الأخلاقي (الأخلاق باعتبارها نظرية التراتب بين البشر)

تمهيـــــد:

يعد نيتشه أكثر الفلاسفة تأثير في عصرنا، فليس هناك فيلسوفا اكتسب سمعته، أو بلغ في الفلسفة مكانة وتأثيرا يمكن مقارنتهما بما بلغه.

وبالفعل، فلقد خيم شبح نيتشه على كل التيارات الفلسفية المعاصرة وسار وراءه الكثير من المعجبين بدءا من هيدجر ومرورا بماركوز ووصولا إلى فوكو، يعود عمل نيتشه اليوم أكثر قوة، من خلال جيل جديد من النقاد والفلاسفة الكبار.

ولم يقتصر تأثير نيتشه على الفكر الغربي فقط، بل امتد تأثيره إلى الكثير من المفكرين العرب، فلقد استطاع نيتشه أن يجتذب إلى فلسفته الكثير من المفكرين والفلاسفة بدعوته إلى السمو بالحياة ومناهضة القيم التي لم تعد في نظره متفقة مع أحوال العالم الحاضر فاندفعوا نحوه معلنين ثورتهم على التقاليد والانحطاط وفي هذا السياق نطرح الإشكال التالي: كيف ساهم فريدريك نيتشه في تشكل الفكر الأخلاقي باعتباره نظرية التراتب بين البشر؟

ومن هنا كان علينا أن نتطرق في هذا الفصل بداية بالتعريف بالشخصية "فريدريك نيتشه " ثم الإرهاصات الأولى التي شكلت فكره وصولا إلى السياق التاريخي لتطور فكرة السؤال الأخلاقي.

نيتشه الفكر والشخصية: الفكر والشخصية :

لم ينبت نيتشه، ورغم غرابة ما جاء به، من أرض يباب، ولم تكن فلسفته الخلافية وآراؤه المباغتة والانقلابية، لإنتاج مناخ خصب بالتيارات الفكرية والفلسفية، التي جاءت تراكما طبيعيا لصيرورة الحياة الفكرية من جهة، ونتاجا بارزا للثورة العلمية صبغت مرحلة عصر النهضة، بصيغة جديدة، طالت كل مفردات الحياة بما فيها الفكرية والفلسفية. من هنا وجب علينا طرح التساؤل التالي كيف ساهم فريدريك نيتشه في ضبط الإطار الإشكالي للسؤال الأخلاقي باعتبار الأخلاق نظرية التراتب بين البشر وفق معطى محايث لانبثاق العقلانية؟

فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche)

أ. حياته وتعليمه: (1844-1900)

لم يكن لشخصية نيتشه الغرائبية أن تنبت في ظروف بيئية عادية، فليس بعيدا عن الفيلسوف الثائر والشاعر المرهف، أن يطلب القيم، ويحطم الأصنام ويقتل الإله على الرغم من أنه بدأ حياته قسيسا ورعا، فهو وليد أسرة على قدر من العراقة في التدين والتقوى. حيث كان يتمتع بقوة روحية عظيمة، وإرادة تدفعه نحو السمو والرفعة على الدوام، وظل طيلة حياته يبعث عن إله جديد لم يرتئ تحققه إلا فيما أسماء. لاحقا " السوبرمان " الإنسان الأعلى. (1)

إذا انطلق نيتشه إلى حياته الجامعية وبدأ اتجاهه فيها يتبلور في دراسة اللغويات والآداب الكلاسيكية واخذ ينصرف عن اللاهوت، بعد أن كان في الأصل ينوي التخصص فيه. (2)

(1) طرابيشي جورج: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص625.

(2) زكريا فؤاد: نيتشه، دار المعارف، القاهرة، 1956 ص21 .

ب. نشأته الفكريـــــة (مصادر فلسفته):

احتشدت حياة نيتشه القصيرة، بمنجز هائل من الكتب، التي راوحت بين الفلسفة والأدب، والتي جاءت مباغته بأفكارها الجديد الثائرة الخلافة، إذ أنها خلقت صدمة معرفية، وقلبا للسائد من المفاهيم ولاسيما الأخلاقية، كل ذلك جاء في قالب لغوي جميل، يمزج فيه بين المفردة الأدبية والمضمون الفكري الفلسفي العميق.

خلف **نيتشه** للمكتبة العالمية ما يقارب العشرين كتابا، ولم تحظ تلك الكتب حياته بالاهتمام الذي يليق بأهميتها، بل أنها حصلت على تقديرها من الاهتمام والدراسة والبحث، تماما كما تنبأ نيتشه بذلك، مؤكد أن خطابه لا يتناسب مع أسماع من حوله.

يراوح نيتشه بين النظري المنقب في عالم[1] العقل، المتأمل في تفاصيل الإنسان وقدراته وبين العملي، في خوضه لمعترك المشاكل الإنسانية بوصفه طرفا أساسيا في حلها أو تجاوزها وليس بتأملها من بعيد وفي مقارنة بين "كانط "و"نيتشه " يقول د- زكريا " إن أولهما بتأمل مشاكله كلها بعقل محايد دون أن يتدخل في الصراع، وثانيهما طرفا يعتبر أصيلا في ذلك الصراع يحاول أن يحله من المشاكل على نحو تصبح معه هذه المشاكل هي وحدها قوام حياته[2]"

ج. مصادره الفكرية:

من الجدير بالذكر أن الظاهرة الفكرية، والسمة العامة التي طغت على نتاج مفكري وفلاسفة هذا العصر (القرن التاسع عشر) هي السمة النقدية كنتاج طبيعي للتطور العلمي والتقني، حيث الهدم والبناء، واختصار النظرة السابقة إلى أقطاب الوجود، من ثلاثية (الله، الإنسان، الطبيعة)، إلى ثنائية (الإنسان، والطبيعة) .

(1) نيتشه فريدريك: ما وراء الخير والشر، ترجمة جزيلا فالورا الحجار دار الغروب، بيروت ص 32.

(2) زكريا فؤاد: نيتشه، مرجع سابق، ص20.

وإذا كان نيتشه قد أبحر في جينالوجيا الأخلاق[1] ، قارئا وهاضما وناقدا، فإنه ينعزل عن التيارات الفكرية، والفلاسفة المفكرين المبرزين في عصره، بكافة تياراتها ومذاهبهم الوجودية والمثالية والاشتراكية والهيقلية والكانطية وغيرها، ورغم تجاوزه اللاحق لهم، ذوي أثر كبير في ثورته الأخلاقية، سواء كان متفقا أم مختلفا معهم مثل:

تشارلز داروين (1809-1882) (charles Darwin) بثورته البيولوجية حول التطور وأصل الأنواع، وإيمانويل كانط(Immanuel Kant) (1724 –1809) ونظرياته النقدية، إضافة إلى الخصوصية المطلقة لكل من "شوبنهاور" "وفاجنر"، إذ تعرف لفلسفة شوبنهاور عبر كتاباته خاصة منجزاته القائمة على الثورة والنقد والتي تجلت في كتابه الأخير "هذا هو الإنسان"[2].

(1) نهلة الجمزاوي: فلسفة الأخلاق عند نيتشه وأثرها في الفكر العربي الحديث والمعاصر، سلامة موسى أنموذجا، دار فضاءات للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2013، ص 18.

(2) نيتشه فريدريك: هذا هو الإنسان، ترجمة على مصباح، منشورات الجمل، ط1، ص 141.

ثانيا: الإطار الإشكالي للسؤال الأخلاقي:

لقد اختفى الحس التاريخي مع هيمنة النموذج ألإبدالي العقلاني (الذي يرمز إليه كل من سقراط وأفلاطون في كتابه التاريخ الغربي في مجالات الفن والفلسفة والدين) ولا جدال في آن تحالف الفكر العقلاني اليوناني مع التصور الديني المنبثق عن أبولون قد أُفضى إلى كتابه تاريخ خطي وأحادي ومحزن للفكر الغربي. ولذلك فإن منهج الفهم الذي يعتمده نيتشه في التأويل يعيد اكتشاف هذا التاريخ المنسي ويعيد ترتيب سلم القيم خارج الإطار الموروث عن التحالف التاريخي بين الديانات السماوية وأسطورة العقل الأرستقراطي.

1. **التطور الأخلاقي:**

يعود الفضل إلى نيتشه في إحداث التقابل بين العقل والغريزة من خلال التقابل بين "أبولون" وديونيزيوس " – إلا أن الهدف من التراتب الجديد لدى نيتشه لا يتمثل في نشر مذاهب لا عقلانية (على غرار لاعقلانية الغريزة العمياء لدى شوبنهاور) بل كان الهدف هو إعادة كتابة تاريخ منسي نتيجة التحالف التاريخي بين الميتافيزيقا والعقل. [1]

لم يخف نيتشه تعاطفه مع هؤلاء الباحثين، مادامو يربطون الأخلاق بقيم الغريزة واللذة والقوة والعاطفة بعيدا عن قيم العبودية والشفقة التي تحكمت في تصور الأخلاق لدى الفلاسفة العقلانيين والفلسفة المسيحية.[2]

2. **الأخلاق باعتبارها نظرية التراتب بين البشر:**

لقد أراد نيتشه أن يبرز كيف أن صدور القيم متوقف على هذا العنصر التراتبي الذي يقسم العالم بمواضيعه ورموزه إلى تعارضات مختلفة: أدنى أعلى، قبيح، جميل، هذه

(1) عبد الرزاق بلعقروز: نتيشه ومهمة الفلسفة: قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط 1، 2010، ص 10-11.

(2) عبد الرزاق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة ـ مرجع سابق ـ ص12.

المقولات في منظور جينيالوجي ليست تعبر، بقدر ما هي معاني تحيل وتدل، وكل ما يعني ويدل على معنى هو عبارة عن قناع يعلق تأويلات مستبطنة وسابقة، ومن ناحية أخرى ستكون مهمة إعادة تقييم القيم، وبناء التراتب الأصيل، موكلة لفيلسوف المستقبل، المشرع والفنان في الوقت نفسه.

ويبدو أن نظرية التراتب عند نيتشه كما فهمها وفكر فيها قد أضحت إشكالية، ومشهدا يرسم لنا صراع القوى،والنتائج المترتبة على السيطرة، فنيتشه يلح على ضرورة توظيف الحاسة البصرية السادسة أي الحس التاريخي، وعلى تجاوز نتائج الصراع كما وقعت فسيطرة القوى – أومن يكون المسيطر – ليست مقياسا حقيقيا يعبر عن المعنى الأصيل والحيوي لتراتب القيم، فالمسار التاريخي لصيرورة القوى كان في مالاته يسفر عن نتائج ضد الفرادة والنبل، لذلك فالمطلب الضروري هو تتبع مسار القيم في تعرجاتها والتواءاتها في التاريخ، على نحو يستأصل الميتافيزيقا الهادفة إلى إذابة الحدث في صيرورة نحو غائية غامضة. [1]

(1) أويغن فنك: فلسفة نيتشه، ترجمة إلياس يدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974، ص 129.

خلاصـــــة الفصل:

من خلال عرضنا لتفاصيل هذا الفصل نستخلص بعض النتائج:

بعد أن بحثنا عن شخصية "فريدريك نيتشه" خاصة في موضوعه الكبير حول السؤال الأخلاقي توصلنا إلى أن هذا الأخير يعد من بين النقاد المعاصرين الذي يصنف ضمن النزعة الإنسانية الأوروبية، فلقد مر في مساره الفكري بعدة مراحل ساهمت في تشكيل فلسفته، وهذا بفضل جهود من تعلم على يدهم وكان لهم تأثيرا قويا على فكره. فنيتشه تمكن من إحداث ثورة مهمة في عالم الأخلاق وهذا بفضل ثورته النقدية الجريئة، بحيث استطاع أن يزعزع الجذور التي اتكأت عليها تلك الأخلاق، وينقص كل المرجعيات الميتافيزيقية والدينية والعدمية فيقاتل الأصنام، ويعلن موت الإله في أصل الأخلاق وفصلها، موضحا الأسباب التي دعت إلى تحول الأخلاق التي تسمو بالإنسان إلى أخلاق تردي وانحطاط .

الفصـــل الثانـي

المرجعيات الفلسفية والتاريخية الأخلاقية في فكر نتيشة

أولا: نقد الأخلاق التقليدية

1.1. المحاولات التأسيسية النقدية للأخلاق

ثانيا : تأسيس الأخلاق الجديدة على إرادة القوة

1.1. الطابع الإبستمولوجي التأويلي للأخلاق

2.2. الركائز الأساسية لتأسيسية الأخلاق النيتشوية

تمهيد

أحدثت الثورة الأخلاقية الصامدة التي فجرها نتيشة، انعطافا مهما في الفكر الأوروبي، ولما كان المنهج الجينالوجي وهو الأساس، الذي اتكأ عليه نتيشة في ثروته تلك فإن هذا دافع به إلى أن يقوم بهذا الانقلاب العارم على أساسها، ومرجعيتها العديمة بوجهيها، سواء كانت، العدمية الناتجة عن المعتقدات الغيبية والميتافيزيقية او العدمية الناتجة عن نشوء النزعات المادية في الفكر الإنساني.

ولم تكن فلسفة نتيشة الخلافية وآراؤه المباغتة والانقلابية إلا نتاج مناخ خصب بالتيارات الفكرية والفلسفية، التي جاءت تراكما طبيعيا لصيرورة الحياة الفكرية من جهة ونتاجا بارزا للثورة العلمية التي صبغت مرحلة عصر النهضة بصبغة جديدة، طالت كل مفردات الحياة بما فيه الفكرية والفلسفية، ومن الجديد بالذكر أن الظاهرة الفكرية، والسمة العامة التي طغت على نتاج مفكري وفلاسفة هذا العصر (القرن التاسع عشر) هي السمة النقدية كنتاج طبيعي للتطور العلمي والتقني، حيث الهدم والبناء، فإن نتيشه لم ينعزل عن التيارات الفكرية، والفلاسفة والمفكرين المبرزين في عصره بكافة تياراتهم ومذاهبهم، ورغم تجاوزه اللاحق لهم ذوي أثر كبير في ثروته الأخلاقية. والسؤال هنا : ما هي المحاولات التأسيسية النقدية للأخلاق النتيوشية وما--- المرجعيات التي على أساسها تمت الثورة الأخلاقية لفريدريك نتيشة وسوف يتشكل هذا السؤال نقطة البدء في هذا الفصل، الذي سنستعرض فيه أهم المبادرات التأسيسية والمرجعيات التي على إثرها تم تشكل فكر أخلاقي نتيشوي فريد من نوعه ؟

أولا: نقد الأخلاق التقليدية:

كان نتيشه يستهدف القضاء على الأخلاق التقليدية تماما وعلى رأسها بغير شك الأخلاق المسيحية ولقد كان موقفه من كل الأحكام الأخلاقية السائدة هو موقف المتشكك الذي يمقت التسليم بهذه الأحكام ودفعه هذا الشك في فترة مبكرة في حياته إلى صراع مع بيئته وجيله والأجيال السابقة عليه وهذا راجع إلى أن نتيشه كان منذ صباه مهتما. بمشكلة أصل الخير والشر وهكذا لم يكن اهتمامه بأصل نشأة الأخلاق هو هدفه الأساسي المنشود كل كان مجرد وسيلة المؤدية إلى الهدف ألا وهو قيمة الأخلاق التي يرى أنها في خطر شديد، ومن هنا نطرح التساؤل التالي : كيف تم التأسيس للأخلاق الجديدة ؟ وما أبرز منطلقات فريدريك نتيشة في ذالك ؟

1.1. المحاولات التأسيسية النقدية للأخلاق:

أ. **نقد الأخلاق الفلسفية:** لقد رفض نتيشه كل القيم الخلقية السائدة، يتساوى في هذه القيم التي تقوم على أساس لاهوتي كنهوتي ولقد وضع الأخلاق الأفلاطونية والأخلاق المسيحية في كفة واحدة وشن عليها حربا لا هوادة فيها وفي كتابه " أفول الأصنام" رأينا أنه ينظر إلى "سقراط "و" أفلاطون" باعتبارها عرضين للانحطاط وأداتين للانحلال الإغريقي ويهاجم الأخلاق الإغريقية منذ أفلاطون فصاعدا، ويعتبرها نزعة مرضية لأنها تقوم على « العقل » وتحارب الغرائز ويسخر من المعادلة السقراطية القائلة : بأن العقل = الفضيلة = السعادة. وينتهي إلى أن الدعوة إلى محاربة الغرائز هي صيغة الانحلال وأن السعادة تساوي الغريزة طالما أن الحياة صاعدة. (1)

لقد كان سقراط سوء فهم وكل الأخلاق، بما في ذالك الأخلاق المسيحية كانت سوء فهم، إن النور الأكثر احتجابا، العقلانية بأي ثمن والحياة الذكية الحذرة الواعية بدون غريزة

(1) محمد اندلسي: افول المتعالي وازمة الميتافيزيقا الغربية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2015، ص 60، 61.

في مقابل كل الغرائز كل هذا أيضا كان مجرد مرض اخر وليس على الإطلاق عودة إلى الفضيلة والسعادة والصحة « يجب محاربة الغرائز» هذه هي صيغة الانحلال فطالما أن الحياة ماده فإن السعادة تساوي الغريزة » [1]

ولا تنجو الأخلاق الأبيوقورية والرواقية أيضا من هجوم نتيشه، فهو يسخر من أبيقور ويسميه «أبيقور المضحك » ويعتبره فيلسوفا حاقدا لا يفوقه أحد في حقده.

« لنتبين إلى أي مدى يمكن للفلاسفة أن يكونوا خبثاء فأنا لا أعرف شخصا أكثر حقدا من أبيقور المضحك الذي أعتبر نفسه عدوا لأفلاطون والأفلاطونيين فقد سماهم المتملقين لديونيسيوس، ولكن بالإضافة إلى هذا فإنه يريد أن يقول إنهم ممثلون ولا شيء حقيقي فيما يقولون» لأن «المتملق لديونيسيوس كان اسما شعبيا يطلق على الممثل»[2]

ويعلق كاوفمان[*] على هذه العبارة قائلا: إن نتيشه في رأيه هذا يرجع إلى الشذرة (236) لأبيقور والالتباس هنا يرجع إلى أن اسم « ديونسيوس» كان يطلق على ديكتاتور صقلية الذي حاول "أفلاطون" لعدة سنوات أن يهديه إلى فلسفة[3] وهكذا فإن نتيشه يتعامل مع إبيقور بمنهجية السيكولوجي الجامح الذي ينشد نزع الأقنعة ومعاينة الحقائق وينتهي إلى أن كل فلسفة إبيقور صادرة عن غيضه من أفلاطون.

ولقد جاء ذلك السيد العالم العجوز من ساموس ليجلس معتزلا في أثينا ويكتب ثلاثمائة كتاب غيضا من أفلاطون[4]

---

(1) كمال البكاري: ميتافيزيقا الارادة (ارخياء المعنى في الذات والسلطان) ، دار الفكر، بيروت،ط1 ،2000، ص 720.

(2) يسرى إبراهيم، فلسفة الأخلاق ، فريدريك نيتشه، ط1، 2005، ص 191.

(*) **والتر كاوفمان** : (walter kaufmann) فيلسوف ومترجم وشاعرالماني ، كتب بشكل مكثف في موضوعات الفلسفة الاخلاقية والمذهب الوجودي وكذا المسيحية .

(3) نقلا عن: يسري ابراهيم : فلسفة الاخلاق Nie tzsche. The twi light of the idols, the problème of sucrates, ses 11,p,204

(4) نقلا عن : يسري ابراهيم ، فلسفة الاخلاق Nie tzsche, bevond good and evil, partone, sec 7,p,205

ورغم ذالك الهجوم القاسي، فلا شك أن أبيقور ونتيشه يتفقان في عدة نقاط أساسية لعل أهمها:

أولا: تفسير العالم تفسيرا آليا، واستبعاد الغائبة بطريقة صارمة .

ثانيا: الدعوة إلى الإقبال على الحياة والاستمتاع بها، مع ملاحظة أن «اللذة» لم تكن الهدف الأساسي عند نتيشة.

ب. نقد الأخلاق المسيحية باعتبارها أخلاقا للعبيد: ان نيتشه في نقده الأخلاق التقليدية يحارب كل ما يؤدي إنكار(الحياة) أو إضعافها سواء كان ذالك نزع فلسفية عقلية او نزعة دينية زاهدة ولاشك ان هاتين النزعتين هما النزعتان الأساسيتان في الأخلاق التقليدية وكتاب "أصل الأخلاق" هو بالدرجة الأولى نقد للأخلاق المسيحية،وكشف عن أصولها الحقيقية وطبيعة الأرض التي نشأت عليها في رأي نتيشة ، وجدير باالملاحظة كما يقول "كاوفمان "إن نتيشة قد ألحق بصفحة العنوان هذه العبارة تعقيب علي أخر كتبي بمعزل عن الخير والشر ليكمله ويوضحه[1].

ومعنى ذلك أن "اصل نشأة الأخلاق" لا يكتمل و لا يتضح إلا بكتاب بمعزل عن الخير والشر وفي كتابه :"بمعزل عن الخير والشر" يحاول نتيشه أن يقيم التاريخ الخلقي كله وينتهي إلي تصنيف الأخلاق التي عرفتها البشرية إلي نوعين متقابلين: أخلاق للسادة وأخلاق للعبيد وهي تقابل عنده أخلاق القوة وأخلاق الضعف أو الأخلاق الرفيعة والأخلاق الوضيعة.

يحدد نتيشة أولا خصائص أخلاق السادة فيقول:" إن أخلاق السادة تفيض بشعور الامتلاء والقوة وسعادة التوتر السامي والإحساس بالثراء القادر علي العطاء والبذل.[2]

(1) عبد الرزاق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة، منشورات الاختلاف، بيروت، ط1،2010، ص 56-57.

(2) نتيشه: ما وراء الخير والشر، ص257 ، وللمزيد من الفرق بين هاتين الصنفين من الأخلاق، أنظر: توفيق الطويل، "فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها"، دار النهضة العربي، القاهرة ط 3، 1976، ص 231-233.

إن كلمة نتيشة الأخيرة في أخلاق السادة وأخلاق العبيد تأتي إلينا من خلا ل المقال الأول في كتابه" أصل نشأة الأخلاق" وهي تأتي هنا موسعة متطورة لتؤكد أن لها ثورة العبيد في الأخلاق قد بدأت مع اليهودية وأن المسيحية استمرار لهذه الثورة وتأكيد لها.

وقد حدث هذا عندما اختلفت طائفة الكهنة وطائفة المحاربين « فالأحكام القيمة الارستقراطية الفروسية » تقتضي بدنا قويا وصحة مزدهرة وفيرة فياضة إلي جانب العوامل التي تحافظ عليها وهي الحرب، والمغامرة، والقنص، والرفض وبصفة عامة كل نشاط قوي مبهج. أما الأسلوب الكنهوتي في التقييم فيقتضي أشياء أخري غير ملائمة له عند الحرب. فالكهنة هم الأعداء الأكثر شرا لأنهم الأكثر عجزا، وبسبب عجزهم ينشأ فيهم حقد شديد، فالحاقدون الكبار في تاريخ العالم كانوا دائما كهنة[1].

فالشعب اليهودي حسه بطبيعته العاجزة لم يكن يحارب أعداءه في ساحة القتال ولكنه مدفوعا بحقده الدفين، كان يحاربهم حربا من نوع آخر هو أقدر عليها فيفسد قيمهم الخلقية، الأمر الذي يترتب عليه القضاء، عليهم ذلك أن قوة الإنسان إنما تكمن في قوة قيمه الخلقية التي يهتدي بها في حياته والواقع أن هذا الحقد، كان بمثابة «العين السحرية» التي من خلالها حاول نتيشه أن يري الأخلاق المسيحية علي حقيقتها وأن يفضح ما تنطوي عليه من زيف ومكر وخداع[2].

(1) يسري إبراهيم: فلسفة الأخلاق، فريديريك نتيشة، مرجع سابق، ص 206 .

(2) نقلا عن يسري ابراهيم: مرجع سابق، ص207. Nie tzsche. One the geneology of normals, first essay, sec10, p474.

مع اليهودية والمسيحية إذن انتصرت أخلاق العبيد، أخلاق الغوغاء أخلاق القطيع، وهي التسميات التي يستخدمها نتيشة، وهزمت أخلاق السادة النبلاء الارستقراطيين وأصبح كل شيء «منهودا، متضحا، غوغائيا» لقد أصبح الحقد خلاقا وتولدت عنه القيم الغوغائية[1]

ج- التعارض بين دوافع الأخلاق المسيحية ومبادئها:

الحقد مصدر القيم المسيحية، والخداع الذاتي هو الأساس الذي تقوم عليه فظاهر كل القيم المسيحية مناقض لحقيقتها، فالشفقة في ظاهرها، كما يقول نتيشه تعاطف مع الآخرين ورغبة في مشاركتهم كل مشاعرهم، وذالك لأن الإنسان يشفق علي الآخرين خوفا من أن يحدث له ما حدث لهم[2]

وأن الإنسان في نهاية الأمر يستهدف إرضاء ذاته ويضحي بذاته من اجل ذاته لا من أجل الآخرين، ويعبر نتيشه عن هذا الرأي « أمور نسائية، إنسانية إلى أقصى حد » بقوله: « يصبو الجندي إلى الموت في ميدان القتال من أجل تحقيق النصر لوطنه وذلك لأن انتصار وطنه انتصار لأغلى أمانيه، وتهب الأم ابنها ما تحرم منه نفسها كالنوم وأحيانا صحتها وطاقتها » [3].

إن دوافع الأخلاق المسيحية جميعها في رأي نتيشه مضادة لمبادئها فمبدأ إنكار الذات لا يصدر عن دعاته بدافع من إنكار الذات وحب الأخريين ولكن هؤلاء الدعاة في الحقيقة يستهدفون من ورائه جلب المنفعة لذواتهم وذلك لأن هذا الإنكار يؤدي في نهاية الأمر إلى فقر ذوات الأخريين وثراء ذوات الدعاة الماكرين وفي « العلم المرح» يقول نتيشه تحت عنوان «إلى دعاة حب الذات» مشيرا في سخرية « إلى أولئك الذين يدعون إلى إنكار الذات بدافع في حبهم لذواتهم: إن امتداح الأفاضل الذين ينكرون ذواتهم ويضحون بها، أعني أولئك

(1) عبد الله عبد الهادي المرهج: نقد المركزيات في فلسفة نيتشه ، دارالروافد الثقافية، ط1، 2012 ، بيروت ،ص 152-153.

(2) نتيشة : هكذا تكلم زراد شت، ترجمة محمد الناجي، الدار البيضاء ، ط1، 2006، المغرب، ص83.

(3) عبد الرزاق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة، مرجع سابق، ص194-197.

الذين لا يستخدمون كل قوتهم وقدرتهم العقلية من أجل الحفاظ على ذواتهم وتنميتها والعلو بها وترقيتها وتوسيع قوتها، أولئك الذين يعيشون حياة وضيعة طائشة.

وهكذا يكشف نيتشه عن التناقض الأساسي مبادئ الأخلاق المسيحية ودوافعها، وينتهي على هذا النحو إلى أن الفضائل المسيحية كلها تضر بالإنسان وتحول دون إثرائه لحياته وتقويتها والرقي بها « لقد كان امتداح الفضائل دائما أبعد ما يكون عن إنكار الذات، والغيرية» ولو لم يكن الأمر كذلك لانتبه المرء إلى أن الفضائل مثل : الكدح والعفة هي في العادة ضارة بأصحابها فهي غرائز تهيمن عليهم بعنف شديد وتعوق الجهود التي يبذلها العقل من أجل على الحفاظ على التوازن بينها وبين الغرائز الأخرى. (1)

الضمير الخلقي: يقدم نتيشه في القسم الثاني من كتابه « أصل نشأة الأخلاق» دراسة سيكولوجية عن الضمير الخلقي تكتشف لنا عن رأيه في هذا المفهوم الخلقي الخطير، فالضمير في رأيه ليس بقوة فطرية مركوزة في الإنسان، تميز بين الخير والشر وتدفعه إلى فعل الخير وتجنب الشر كما يعتقد بتلر كذلك فإنه ليس حاسة خلقية تختلف عن سائر الحواس الظاهرة.

والضمير أيضا ليس " صوت الإله في الإنسان " كما يعتقد رجال الدين ولكنه غريزة القسوة " التي تتجه إلى تفريغ نفسها في داخل الإنسان بعد أن تعجز عن تفريغها في الخارج. ولاشك أن غريزة القسوة هذه تنتمي إلى العبيد الذين يشعرون بالعجز فماذا يعني الضمير عند السادة الأقوياء؟

يقول نتيشه « إن الرجل الحر الذي يمتلك إرادة لا تلين يمتلك أيضا معيارا للقيمة، فينظر للآخرين من خلال نفسه، ليحترمهم أو يحتقرهم».

(1) عبد الله عبد الهادي المرهج: نقد المركزيات في فلسفة نتيشه مرجع سابق ص 152-155.

هذه هي صورة الضمير في أسمى صورها في رأي نتيشه وهي صورة يسبقها تاريخ طويل وصور أخرى ومتنوعة، إلا أنها ليست الصورة الوحيدة فهناك ما يسميه نتيشه «بالضمير السيئ» أو«وخز الضمير» والذي يراه غريزة للقسوة موجهة ضد الإنسان نفسه[1].

د- الأخلاق المسيحية:

السؤال الذي نطرحه هنا هو: ما هي الثمار التي أثمرتها الأخلاق المسيحية، وما هو الدور الذي لعبته في الحضارة الإنسانية؟ وقبل أن يجيب نتيشه على هذا السؤال يلقب الضوء أولا على الثمار التي أثمرتها القيم الأرستقراطية النبيلة التي تقابل القيم المسيحية وتعارضها.

لقد كان النبلاء الأقوياء في علاقاتهم بالأجنبي يخرجون عن كل ما يكبح جماحهم بين أندادهم كالعادة والعرف وشعور الاحترام والعرفان بالجميل والشك المتبادل والغيرة، وعندئذ " لا يكون أفضل من الوحوش المفترسة التي تحررت من قفصها -وعندئذ يستمعون بحريتهم بعيدا عن كل القيود الاجتماعية ، ويعوضون أنفسهم في البرية عن التوتر الناشئ من القيد الطويل الذي يحقق السالم داخل المجتمع- غنهم يعودون إلى الضمير البريء للوحش المفترس، ويستطيع المرء أن يشاهد في أعماق هذه الأجناس النبيلة الوحش المفترس ، الوحش الأشقر الرائع الذي يجوس بشراهة باحثا عن عن غنيمة أو ظفر وهذا الجوهر الخفي بحاجة إلى أن يثور من حين من حين إلى آخر، لابد أن يخرج الوحش مرة أخرى ، ويشرك في هذه الحاجة النبلاء الرومان والعرب والجرمان واليابانيون وأبطال هوميروس وقراصنة الفيكنج (*) الاسكندينافيون" [2].

(1) يسرى إبراهيم: فلسفة الأخلاق، فريد ريك نتيشه مرجع سابق ص 216 .

(*) **الفيكينغ:** (Viking) جماعة من القراصنة الاسكندنافيين كانوا يغيرون على اوربا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وقد عرفوا بشجاعتهم وقسوتهم وصرامتهم .

(2) عبد الرزاق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة، مرجع سابق، ص186-187.

ثانيا: تأسيس الأخلاق الجديدة على إرادة القوة:

1-الطابع الإبستمولوجي التأويلي للأخلاق:

وإذا ما توقفنا عند القيم المسيحية سنجد أنها لم تثمر – في رأيه نتيشه– سوى إنسان يبعث على الضجر، إنسان ضعيف عاجز مسلوب الإرادة يمزقه الإحساس بالذنب الذي تنفثه فيه العقيدة المسيحية، ويقف في سبيل إثراء حياته دعوة زائفة إلى الزهد تصرخ القيم المسيحية التي تستهدف تشويه " إرادة الحياة " في داخله وتحويل عينيه عن عالمه الأرضي المحسوس إلى عالم وهمي آخر. والدور الذي لعبته القيم المسيحية في الحضارة الإنسانية يكمن في تحويل الإنسان كالوحش مفترس إلى حيوان متحضر وديع إلى حيوان أليف، ففي مطلع العصور الوسطى، عندما كانت الكنيسة فوق كل شي[1] على حد تعبير نتيشه، استطاعت أن تروض الشعوب والقبائل البربرية المتوحشة مثل : التيوتان ونجحت في أن تظل هؤلاء البشر وان تضعهم في الأديرة وكانت نتيجة ذلك في رأي نتيشه أن أصبح الإنسان آثما، ووضع في قفص، محبوسا بين كل التصورات المفزعة، وهناك طرح مريضا بائسا، حاقدا على نفسه، مفهما بالكراهية ضد كل ينابيع الحياة مليئا بالشك ضد كل ما يزال قويا وسعيدا. وباختصار أصبح الإنسان مسيحيا ولنتحدث على نحو فسيولوجي: ففي الصراع مع الوحش تكون الوسيلة الوحيدة لجعلهم ضعفاء هي جعلهم مرضي وهذا هو ما فهمته الكنيسة، لقد خربت الإنسان وأضعته ولكنها زعمت أنها حسنته، وعلى هذا النحو، يؤكد نتيشه أن الحياة الفخورة في خوف في ظل القيم الأرستقراطية النبيلة، قيم المحاربين الشجعان، أفضل مائة مرة من الحياة المنحطة الآمنة في ظل القيم المسيحية، قيم الكهنة المخادعين، ويقول في هذا الصدد من الممكن أن يكون لدى الإنسان مبررا كافٍ لاستمرار خوفه من الوحش المفترش الأشقر الكامن في أعماق كل الأجناس النبيلة، ولحماية نفسه منه، ولكن من لا يفضل مئة مرة أن يعيش في خوف فخورا بنفسه من أن يعيش في أمن

(1) يسري ابراهيم: فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ص189.

محكوما عليه بمشهد بغيض لضعاف البنية والاتزان والضامرين والعاجزين ؟[1] وعلى هذا النحو كان نقد نتيشه للأخلاق التقليدية وعلى رأسها الأخلاق المسيحية بمثابة موقف مضادا أو انقلاب شامل على كل القيم التي تدعو إليها هذه الأخلاق، فهو يرفضها برمتها ويرميها بأبشع التهم ويجملها مسؤولية انحطاط الحضارة الأوروبية وحلول العدمية وبناء على ذلك كان نتيشه من وجهة نظر هذه الأخلاق التقليدية فيلسوفا " غير أخلاقي "[2].

أ. إرادة القوة:

لم يستطع نتيشه أن ينسلخ عصره المتسم بالثورة العلمية فراح يمزج الفيزيائي بالسيكولوجي، ليخرج بمبدأ جديد لفلسفته الثائرة، ويخلق مفهوما يجعل منه معيارا لقيم جديدة، تدفع باتجاه خلق الإنسان الأعلى، إنها إرادة القوة التي ما أنفك يرددها في كل كتاباته " إن فيك وحدك يا إرادتي يصمد ما تبدده أيام الشباب، فأنت لا تزالين حية وفتية تملؤك الآمال[3]

كان نيتشه يربط إرادة القوة بالوجود، ويشرك الإنسان في فعل الإيجاد، بوصفه صاحب إرادة القوة هي جوهر الوجود، وعن طريقها يمكن تفسير كل مظاهر الوجود، فليس الوجود إلا " الحياة" وليست الحياة إلا " إرادة" ... وليست هذه الإرادة إلا إرادة القوة"[4].

إذ يؤكد أهمية إلا وبر منش وعظمته، يمزج بينه وبين الله، فإنه لا يخلو من مظاهر الضعف، يقول: " في الإنسان اتخذ المخلوق والخالق في الإنسان خاصة وزوائد وطين ووحل وسخف. لكن في الإنسان أيضا، خالق وصانع قسوة خارقة وألوهة متفرجة. [5]

(1) هجران عبد الاله أحمد الصالحي: فكرة الجسد، دار الفرقد، ط1، 2014، سوريا، ص92.

(2) الجابري: فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر،القسم الاول ،دار الشؤون الثقافية العامة،1993،بغداد،ص243.

(3) نهلة الحمزاوي: فلسفة الأخلاق عند نتيشة وأثرها في الفكر العربي الحديث والمعاصر " سلامة موسي انموذجا "، دار فضاءات، ط1، 2013، عمان، ص44.

(4) بدوى، عبد الرحمان: نتيشه، مكتبة النهضة المصرية، د.ط،1956، ص216.

(5) نتيشه: ما وراء الخير والشر، ترجمة جيزيلا فالورا الحجار، دارغروب،د.ط، بيروت ،ص32.

ويرى نتيشه، أن تحرر الإنسان من مطلق الدين، لا يكون ليقع من جديد تحت سيطرة مطلقات جديدة هي (القانون) والدولة والأحزاب الذي لذا تصدى نتيشه لكل المفاهيم التي يجدها تحط من قيمته الإنسان وتصغره، فالديمقراطية في نظره: " صورة انحطاط الإنسان، صورة تصغره،... وتحط من قيمته.... [1].

ب. الوجود بوصفة تفسيرا:

ومن أجل تحرير الحياة من هذه التصورات قدم نقدا شديدا للميتافيزيقيا ومفاهيمها الأساسية التي نشأت من الألم والعجز وعدها تزييفا صارخا ومقصودا للوجود الحيوي للإنسان، فالميتافيزيقا تحيك تطورات زائفة عن العالم وعن الحياة وعن طبيعة الواقع، وتضفي علي هذا الواقع أوهام الذات وإستيهاماتها، وترتقي بمقولات العقل والمنطق وبالمعايير الأخلاقية المحتقرة للحياة والوجود، إلى مرتبة محمولات جوهرية، وصفات ملازمة لطبيعة الوجود وذاته، والغاية من ذلك كله إخفاء صيرورة الواقع والتعتيم علي تناقضاته[2].

ولم يقف قدر نتيشة عند حدود نقد الميتافيزيقيا وهدمها بل قدم نظرة خاصة للوجود، فالوجود هو الحياة وليست الحياة إلا إرادة، وليست الإرادة إلا " إرادة قوة"، والحياة تقويم ،ولكي يحيا الإنسان لابد له أن يضع قيما. بمعني أن يفاضل ويوازن، ويعطي لهذا الشيء من القيمة أكبر مما يعطيه للأخر ويميل إلي هذا ولا يميل إلا ذاك وهذا التقويم نفسه الوجود أيضا، فالحياة والوجود شيء واحد لأن كليهما تقويم[3]

إن اعتقاد نتيشه الأساسي هو أن « كل وجود نتاج تفسير، وبعبارة أخرى فإن عالم الأشياء في رأي نتيشه يوجد فقط بوصفة بناء تفسيريا، أي بوصفة بناء يشيده الفكر ولا وجود

(1) نتيشه: ما وراء الخير والشر، مرجع سابق ص 33.

(2) الراوي عبد الرزاق: صوت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، ط، 1993،1، لبنان،ص34.

(3) قنصوة صلاح: نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، د.ط،1981، القاهرة،167-168.

له في الواقع. وكل ما يجري عبارة عن مجموعة من الظواهر مختارة ومترابطة بواسطة وجود مفسر »[1].

ج. القوة في المجتمع:

لقد لاحظ نتيشة أن الصراع من أجل القوة موجود داخل المجتمع والدولة.

أ. فقد أمدته حياة الإغريق برؤية شاملة لهذا الصراع، ذلك أنها ألقت الضوء على طبيعة الإنسان، ففي حياة الإغريق وجد نتيشه « إنسانا مثل الثعلب يبتهج بالتذمير» إن الإغريق، على خلاف ديانات العالم وفلسفاته لم يتراجعوا في فزع عن هذا الشكل من أشكال الحياة، ولكنهم بالأحرى تقبلوا القتال وابتهجوا بالنصر.

وبالإضافة إلى هذا فإن ايريس (*) السيئة تحثهم علي التنافس عن طريق الغيرة والحسد والضغينة [2]

والصراع بين القوة لا يكون فقط بين المعاصرين بعضهم وبعض، ولكنه يكون أيضا بين المعاصرين والسابقين عليهم، أي بين الحاضر والماضي، وذلك حين ينحدر إلينا الماضي من خلال تراثه التاريخي، فهناك عملية أساسية في التاريخ وهي إعادة تفسير التراث، وهي عملية تقوم بها إرادة قوة معاصرة، ذالك أن «أي شيء موجود، بصرف النظر عن أصله، تستولي عليه مرة تلو الأخرى إرادة قوة أسمى تفسره وتعيد صياغته وتقدمه من أجل استخدامات جديدة [3].

(1) يسرى إبراهيم: فلسفة الأخلاق فريديك نتيشة، مرجع سابق، ص 241 .

(2) يسري إبراهيم، فلسفة الأخلاق فريدريك نتيشة، مرجع سابق ص243.

(*) ايريس أوديسكورديا: هي آلهة الشقاق والنزاع عند الإغريق، وهي ابنة زيوس وهيرا والأخت التوأم لإريس إله الحرب .

(3) هجران عبد الإله أحمد الصالحي: فكرة الجسد، مرجع سابق، ص90-91.

د. العود الأبدي ونتائجه الخلقية:

السؤال الذي نطرحه الآن: هو إذا كانت إرادة القوة: يمكنها أن تريد كل شيء فهل يمكنها أن تريد الماضي وهل الماضي لا يحبط إرادة القوة.

إن فلسفة نتيشه في الحقيقة تريد إقرارا لكل الأشياء. بما في ذلك الماضي نفسه، وهذا ما يؤكده مذهب زاردشت في "العود الأبدي"، فأصولها ترجع إلى عهد الأديان القديمة التي قامت بها على أساس أسطوري لا يمت إلى العلم أو المنطق العقلي بصلة. فلا شك في أن الفكرة قد ظهرت بحذافيرها لأول مرة لدى الفيثاغوريين. فهناك شواهد تقطع بأنهم راو الزمان يعود كما سار من قبل، فتكرر كل حوادث العالم مثلما تتكرر فصول الستة بعد أن تتم دورتها[1].

ولا يخفي على أحد أن نيتشه يقدم العود الأبدي كنظرية خلقية أساسا تبرر الوجود الإنشائي وتعوضه عن حاجته الملحة إلى "العلو" بعد أن أعلن عنه موت الإله، فالعلو الأبدي، بوصفه البديل في حالة عدم وجود إله هو في رأي نتيشه الوسيلة الوحيدة التي يستطيع العالم بها أن يفلت من كل تشويه، فهذه الفكرة تساعد على التحقق الذاتي للعالم وترفع من شأن الإنسان فيه، وتزيد التأكيد المطلق على حدوده، وتتخلى عن الإلوهية وعن كل الموجودات الأخرى التي يمكن أن تظهر بوصفها دخيلة ومناقضة لهذا العالم. وهذا هو السبب الذي مكن نتيشه من الحديث عن العود الأبدي[2].

إن أطروحة العود الأبدي لتبدو غريبة على الثورة القيمية التي أحدثتها فلسفة نتيشه الأخلاقية، وذلك مقارنة بمفهومي الإنسان الأعلى وإرادة القوة والذين صح بهما نتيشه في وجه العدمية الدينية.

(1) فؤاد زكريا: نتيشه: نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، ط2، مصر، ص131.

(2) يسرى إبراهيم: فلسفة الأخلاق فريديريك نتيشه، مرجع سابق، ص283.

ذلك لو تتم النظر إليها من زاوية المفهوم الميثيولوجي للعود المتمثل في مفهوم البعث بعد الموت، والذي ظهر في الأساطير القديمة، كالهندية والمصرية وكذلك في فكرة التناسخ عند "أفلاطون"، إضافة إلى فكرة البعث بعد الموت الذي أقرته الديانات السماوية جميعها، بل واعتبر ركنا أساسيا من أركان الإيمان بتلك الأديان.

تلك الفكرة التي جاءت لتجيب على إشكالية نهاية العالم واستمراريتة التي أرقت فكر الإنسان ضد الأزل، فراح يبحث لها عن حلول، تريحه من رعب الموت الذي يفضي به إلى التوقف الأبدي، فكان العود بمفاهيمه المتعددة. هو الحل الذي الأمثل لإشكالية الزمان الذي يمضي بلا عودة للوراء والذي اعتبرته الإرادة عدوا لها.

إن فكرة العود الأبدي تضفي على الإنسان، والزمان[1]صفة السرمدية مما يدفع بالإنسان إلى أن يقوم بأفعال تستحق الخلود والتكرار، وهذا كفيل بخلق الإنسان الأعلى وتحقيقه، وهذا ما دعا إليه نتيشه بكل ما أوتي من قوة وعنفوان ورغبة في الحياة، إنه يريد تكراره، تكرار نتيشه تكرار زاردشت، رمز الإنسان الأعلى المنتظر.

"سأعود بعودة هذه الشمس وهذه الأرض، ومعي هذا النسر وهذا الأفعوان، سأعود لا حياة جديدة ولا حياة أفضل ولا حياة متشابهة بل أنني سأعود أبدا إلى هذه الحياة بعينها إجمالا وتفصيلا، فأقول أيضا بعودة جميع الأشياء تكرارا وأبدا فأنا أتوارى منذرا وبشيرا. [2]

2. الركائز الأساسية لتأسيسية الأخلاق االنيتشوية:

أ. القوة بوصفها معيار للتقييم الخلقي:

إن إدارة القوة تختلف عن الصراع من اجل البقاء، لأن هذا الأخير يمثل صورة سلبية لإدارة الحياة التي تعني الصعود والنمو والتطور، وليس الصراع من أجل البقاء، لأن هذا

(1) نتيشه فريدريك: هكذا تكلم زرادشت، فليكيس فارس، المكتبة الثقافية، بيروت، ص252.

(2) نهلة الجمزاوي: فلسفة الأخلاق عند نتيشه، مرجع سابق، ص 54.

الصراع يمكن أن يأتي بالضعفاء وهؤلاء يمتازوا بالاضطراب والقلق عكس الأقوياء الذين يمتازون بالسيطرة على ذواتهم وعلى الآخرين، وهم أناس يتميزون بكل الصفات الايجابية التي تعطيهم الحق بالقوة والسيطرة، ويرى نتيشة أن الحياة تدعوه إلى التفوق والنزوع نحو القوة وليس الضعف، وهو على النقيض من دعوة سابقيه تشوبها ورودا وين، فالأول جعل الإدارة مبدأ ميتافيزيقيا كونيا يحرك الوجود وهذا ما يرفضه نتيشة، لأن الإدارة كما يعتقد هي جزء من الحياة وليست متعالية، أما دعوة داروين فهي دعوة لسيادة الضعفاء على الأقوياء[1]

ويعتقد نتيشة أيضا أن الدافع الأساسي وراء نمو الحضارة الإغريقية هو إدارة القوة وعلى هذا النحو يفسر نتيشة تاريخ الحضارة الإنسانية كله بمفهوم إرادة القوة التي تدفع الإنسان إلى التفوق على جيرانه والتغلب عليهم حيث أن نتيشة يرى أن الزاهد حسب وجهة نظره أعظم قوة من الرجل البربري غير المتحضر والحكمة الثانية يقول فيها نتيشة «إن السعادة في الحقيقة تفهم على أنها شعور حي بالقوة وأعظم قوة على الأرض هي قوة الزاهد...» [2]

ب. العلو على الذات ومعناه الحقيقي:

في كتاب "هكذا تكلم زرادشت" الذي هو قناع نتيشة خطبته الأولى التي تبدأ بالكلمات التالية "جئت لأعلمكم كيف يكون الإنسان الراقي فالإنسان شيء يجب تجاوز فماذا فعلتم لتحقيق ذلك، فالخطاب المركزي هو وجوب تخطي الإنسان، الإنسان الحديث الذي روضته الكنيسة وجعلته مسالما ويسعى بكل الوسائل لاجتثاث كل ما يبعث في الحياة القوة والجمال والامتداد [3].

(1) عبد الله عبد الهادي المرهج: نقد المركزيات في فلسفة نتيشة، مرجع سابق، ص184.

(2) يسرى إبراهيم: فلسفة الأخلاق وفريدريك نتيشة، مرجع سابق، ص 260.

(3) هجران عبد الاله احمد الصالحي : فكرة الجسد، مرجع سابق، ص92.

فهذه القيم المريضة المدسوسة في نموذج الإنسان الحديث، يدعوا زرداشت إلى تخطيها نحو الإنسان الأسمى "Surhomme" مع ما تحمله لفظة السمو من تجاوز للذات، وعلاء عليها وعل كل ما يمجد قيمها، ويؤكد نتيشة عقب التبشير بتعاليمه حول الإنسان الأسمى كمنعطف نوعي جديد، أن هذا الإنسان ينتمي إلى العالم الأرض، فمنها اشتقت قيمة الحيوية الأصلية، وعلى الأرض تم تدجينه وترويض قواه، ومنها سيعود إلى ذاته وتحيا تجربته الوجودية الجديدة.

وعلى أية حال فإن نتيشة لم يوضح هنا ما يعنيه «بالعلو على الذات»[1] كما أنه لم يوضح كيف نقيس درجة القوة حيث الكم أو مقدار القوة، وعلى هذا النحو فإن نتيشة يقدم إرادة القوة على إرادة العلو على الذات، فيؤكد أن الفضيلة تكمن في عمل ما هو صعب ويواصل حديثه عن إرادة القوة على أن تكون "إرادة العلو عن الجيران" وهي محاولة العلو والتفوق عليهم.

ج. الإنسان الأعلى بوصفة هدف أخلاق القوة:

بعد أن أطلق نتيشة صرخته المدوية: " أن الله مات "، ما كان له أن يترك عرش الكون والحياة، ليتربعه الفراغ، مما دفع به إلى العدمية، تأخذه نحو التدهور والانحطاط، وإنما سارع لخلق بديل قوي، يملأ المكان، فلا تختل الموازين بعد تحققه.

إنه الإنسان الأعلى "السوبرمان القادم" ليحتل المكان ويسود العالم ويقوي دفة الحياة. الإنسان العلى الذي يبشر به عندما قال على لسان إنسانه المتفوق زارا بعد حواره مع الناسك في الغابة: " إنه لأمر جد مستغرب إلا يسمع هذا الشيخ في غابة أن الإله قد مات" [2].

(3) حسن قبيسي: اصل الاخلاق وفصلها، نيتشه فريدريك، المؤسسة الجامعية للدراسات ط1، 1981، ص 9-10.

(2) نتيشة: هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص 32.

ولا يلبث نتيشة أن المؤكد خبر نبيه أو إلهه الجديد بين الحين والآخر، إلى أن يعلن صراحة موت الإله وحلول الإنسان المتفوق مكانة: " لقد ماتت جميع الآلهة فلم يعد لنا من أمل إلا ظهور الإنسان المتفوق، فلتكن هذه إرادتنا عند ما تبلغ الشمس المهاجرة " [1].

ويجب أن نلاحظ قبل كلى شيء أن نتيشة لم يبتكر لفظ "الإنسان الأعلى" وذلك لأننا نجد لفظ "الإنسان الأعلى" في كتابات "لوكيان"[*] في القرن الثاني الميلادي وفي "**زرادشت**" يجعل «الإنسان الأعلى ظهوره العلني الهام جنبا إلى جنب مع العود الأبدي وإرادة القوة. فالإنسان كائن يجب أن نعلو عليه، والإنسان الذي يعلو على ذاته يصبح إنسانا أعلى»[2].

(1) نهلة الجمزاوي: فلسفة الأخلاق عند نتيشة، مرجع سابق، ص 30.

(2) يسرى إبراهيم: فلسفة الأخلاق، فرديك نتيشة، مرجع سابق، ص289.

(*) **لوكيان:** قديس مسيحي، أسهم في الحديث عن الإنسان الأعلى وفكرة العود الأبدي التي أبدع فيها، مشيرا إلى كيفية العلو على الذات، ومن الذين قرأ لهم نيتشه في القرن الثاني الميلادي.

خلاصة الفصل الثاني:

نستنتج من خلال ما سبق أم موقف نتيشه من الأخلاق التقليدية أنه يرفض كل القيم الخلقية السائدة تتساوى في هذه القيم التي تقوم على أساس عقلي فلسفي والتي تقوم على أساس لاهوتي كنهوتي، فهو يسخر من المعادلة السقراطية، ويرفض أيضا الأخلاق الكانطية التي تقوم على أساس «الواجب»، ويؤكد أن أخلاق الواجب مضادة للطبيعة ومنافية للواقع

أما الأخلاق المسيحية فينظر إليها بوصفها أخلاقا للعبيد جاءت مع اليهودية واستمرت مع المسيحية

والقيم الكنهوتية، في رأيه، تنشا عن حقد دفين يفجره في الكهنة ذلك الإحساس المر بالعجز وفقدان روح المغامرة و إرادة القوة التي تميز الفرسان النبلاء، وينتهي نتيشه إلى أن دوافع الأخلاق المسيحية جميعها مضادة لمبادئها

وهكذا حاول نتيشه بطريقة قاسية أن يجرد الإنسان من كل ما ينسب إلى الأخلاق التقليدية بصلة، حتى الضمير الذي يعد بمثابة سلطة اجتماعية كامنة داخل الفرد، تأمره بفعل الخير وتجنب الشر على النحو الذي يقره المجتمع، وهذا الموقف الذي اتخذه من «الضمير الخلقي» لاشك في أنه يشق تماما مع مبادئ فلسفته التي ترفض كل شرائع الأخلاق المقبولة في المجتمع وتهدم الأساس الذي يقوم عليه وهو فكرة (الإله) وتستبعد أي مسؤولية خلقية وأي إلزام خلقي.

الفصل الثالث

أثر الفكر الأخلاقي لفريديك نتيشة على المفكرين العرب

أولا: فلسفة الأخلاق النيتشوية وأثرها في الفكر العربي والمعاصر بين الرفض والتأييد.

ثانيا: نقد المركزيات الدينية والأخلاقية.

تمهيد:

لقد خيم نتيشة على كل التيارات الفلسفية المعاصرة، فلم يقتصر تأثير نتيشة على الفكر الغربي فقط بل امتد تأثيره إلى المفكرين العرب، فلقد استطاع أن يجتذب إلى فلسفة الكثير من المتحمسين الذين عبروا عن مزاعم في "ميراث" عربي للنيتشوية.

ولقد اجتذب نتيشة المفكرين العرب بدعوته إلى السمو بالحياة، ومناهضة القيم التي تعد، في نظرة، متفقة مع أحوال العالم الحاضر فاندفعوا نحوه معلنين ثورتهم على التقاليد والانحطاط.

والسؤال هنا: ما هي أسباب انتقال الثورة النيتشوية إلى الفكر العربي؟ وكيف تم التأثير على المفكرين العرب؟

أولا: الفلسفة الأخلاقية النيتشوية وأثرها في الفكر العربي والمعاصر بين الرفض والتأييد:

أيقظ نتيشة لدى المفكرين العرب اهتماما كبيرا فذلك بتأثيره في الحياة الفكرية للعرب، حتى يسعنا القول إنه فاق تأثيرا باقي الفلاسفة الآخرين كـ"**أرسطو**" و"**سيتوزا**" و**هيغل** بحيث بدأ الاهتمام العربي حيال "السائل الكبير" في بداية القرن العشرين خاصة في العقد الأول منه، غير أن تأثير النتيشوية هذا لم يكن مطلقا إذا عارض بعض المفكرين ممن اهتموا بدراسة نتيشة معارضة صريحة فبعضهم يرى في أفكاره وسيلة لإصلاح العالم العربي، والبعض الآخر يرى فيها "وسيلة تفتح أمام الفرد آفاقا واسعة في مجال القوة والثقة بالنفس وتحرير الحياة من المسكنة والذل والتغلب على ما ورثته الأجيال من عقائد موهنة للعزم"، فالوعي الحاد والوضوح الكبير الذي واجه به نتيشة مشكلة الانحطاط يعد من دون شك، أهم حدث ثقافي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

أ. نتيشة عند دعاة التقدم العرب:

إن أسماء المرحبين الكبار الذين دعوا إلى **نتيشة** في حماسة متقطعة النظير من مفكري الانحطاط تطل في الدرجة الأولى، أسماء **فرح أنطون** وسلامة موسى وعبد الرحمان بدوي تلك العناصر التي تلفت العلم في الغرب (في فرنسا خاصة)، فأول المهتمين من أولئك المفكر بن نتيشة كان **فرح أنطون** صاحب مجلة الجامعة، فقد كتب من 1904 مقاولا حول فلسفة نتيشة وكان احد العناوين الفرعية لواحد مقالاته عن نتيشة: فيلسوف لا يعرف اسمه قراء اللغة العربية ولكنهم رأوا آثار مبادئه وفلسفة في كل شيء حولهم في كل مكان[1].

وبقدم فرح أنطون نتيشة بكثير من الحذر فيقول: إن مبادئ هذا الرجل تحتوي على الكثير من الحقائق الضرورية للحياة وعلى أبناء الترف أن يطلعوا عليها ليشددوا نفوسهم بها.

(1) جمال مفرج: الإرادة والتأويل (تغلغل النيتشوية في الفكر العربي)، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2009، ص82.

وشغل نتيشة اهتمام "سلامة موسى" أيضا في الفترة أي في بداية القرن العشرين، فراح يلح في مختلف مؤلفاته إلحاحا شديدا، مركزا على ضرورة الخلاص من أسر الفكر الغيبي، وفي خاتمة مقدمة السوبرمان (1909)، ردد صيحة نتيشة "إن الله مات"، وأضحت العبارة ترمز إلى نقطة الانطلاق الحقيقية لفلسفة الخاصة بالمجتمع ومن هذه الزاوية تحددت العلاقة الجدلية العميقة بين دراسة سلامة[1] موسى حول موضوع الله ومطالبه الفئات المطحونة في أسفل السلم الاجتماعي بحقها في الحياة، تشرط ان تتحرر من العبودية الأولى، عبودية الوهم والخرافة، وسوف تتحرر عندئذ من العبودية الثانية، عبودية الاستغلال الطبقي[2].

مفكر عربي آخر اهتم نتيشة في بداية الحرب العالمية الأولى هو "مرقص فرج بشارة" الذي ألف كتيب عن نتيشة في 28 صفحة، في مقدمة الكتاب يقول المؤلف: "لست بإخراجي هذا الكتاب إلا ناقلا لقراء العربية أكبر أثر من أثار النهضة العلمية الحديثة في أوربا"[3].

إن صاحب هذه المقدمة يبدو مشغولا بنقل نتيشة إلى العربية، باعتباره رمز الحرية والتحرر، لكنه في الحقيقة، مشغول، بالدرجة الأولى، بتبرير جحود نتيشة لكي يحمل القارئ العربي على الاعتقاد بان كفر نتيشة أقرب إلى الإيمان وهذا الانشغال يجعل نتيشة "مهضوما" لدى القارئ العربي [4].

بالإضافة إلى المنظومة الفكرية الموسوية بحيث أتخذ فكر سمة "المصلح الاجتماعي في الشرف عامة وفي مصر خاصة، وقد كانت جميع الآراء التي يرتئيها والدعوات التي

(1) جمال مفرج: الإرادة والتأويل (تغلغل النيتشوية في الفكر العربي)، مرجع سابق ص 83.

(2) غالي شكري، سلامة وأزمة الضمير العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت، ط4، 1983، ص 53-54.

(3) جمال مفرج: الإرادة والتأويل، مرجع سابق، ص 84.

(4) نتيشة، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص 15.

يجهر بها، لها محور واحد، هو إصلاح المجتمع المصري، والشرقي وكان سبيله في ذلك الإصلاح المجتمع هو صبغة بالصبغة الأوروبية"[1].

لقد آمن سلامة موسى بالغرب إيمانا مطلقا وكانت دعوته الفكرية تنطلق من نبذ الغيبيات والأخذ بالعقلانية والتمثل بالغرب كما نادي بتحرير المرأة فقد نهل من ينابيع الفكر الأوربي ليكون منظومة فكرية خاصة، فلقد غادر الفكر الغيبي الديني بشجاعة وتخلص منه وصرح قائلا: "ربما كان الزهر أكبر ما عاق تفكيري الحر" وكان لداروين، الأثر الكبير الذي سيطر عليه ضد ولادة فكرة، حتى آخر[2] منجز ذهني من منجزاته، فترات يعقد مقارنة بين داروين ونتيشة فيقول: "هو الضد لنتيشه في الأسلوب، فإن نتشيه ناري يسماوي، أما داروين فأرضي طيني، وأسلوب نتيشة ذاتي حتى حين يهتدي إلى الحقائق الموضوعية وكثيرا ما وصف موسى، بأنه ليس أديبا، لخلو كتاباته من الزخرفة اللفظية التي اتسم بها العصر، وبهذا الخصوص يقول: "وأنا أؤثر أسلوب داروين: أسلوب المنطق الصارح، والحذر والاعتدال على أي أسلوب آخر يوصف بأنه أدبي" وعلى الرغم من تفضيله لداروين، على نتيشة كما أسلفت الذكر إلا أنني أجد أن داروين هو الذي قاده إلى نتيشة، حيث نظرية التطور، ويقول ماضي: "وإذا ينفي أن يكون فينا فرد خالص، أو إنسان خالص أو سوبرمان خالص، لأن كل فرد منا مزيج من الثلاثة، يؤكد سلامة موسى إن معظم الأنبياء، والفلاسفة، والحكماء قد انتصرت فيهم عناصر السوبرمان، أي الإنسان الأعلى"[3].

(1) الشرقاوي: سلامة موسى المفكر والإنسان، دار الهلال، القاهرة، ص 95.

(2) نهلة الجمزاوي: فلسفة الأخلاق عند نتيشة وأثرها في الفكر العربي الحديث والمعاصر ص118.

(3) ماضي احمد: سلامة موسى والفلسفة، المؤتمر الفلسفي العربي حول الفلسفة المعاصرة، 1987، عمان الأردن، الجامعة الأردنية، مواقف ودراسات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 345.

ب. المنهج الجينيالوجي بين ترحيب المفكرين العرب ورفضهم:

إن نتيشة لم يكن حالما فقط: بل كان بالإضافة إلى ذلك ناقدا كبيرا وهكذا فلقد أعطانا، كناقد تشخيصا وتحليلا لثقافة الإنسانية من أشد ما عرفه عصرنا قسوة وبعد عن الشفقة[1].

فنحن أمام رجل يحتل في تاريخ الفكر الغربي الحديث مرتبة مثيرة ومحيرة جدا: مثيرة لأنه تحدى كل الأفكار والمعتقدات والقيم التقليدية في عصره، ومحيرة لأنه نتاجه، أضحى فجأة، بعد إهمال طويل استمر طيلة حياته شعارا عقائديا في أوربا كلها[2].

وكما أيقظ نتيشة بعد موته اهتمام المفكرين الغربيين فإنه أيقظ لدى المفكرين العرب اهتماما خاصا جدا فمنهم من ملأ قلبه بالإعجاب ومنهم من عارض بصورة صريحة بعض مصادرات فلسفية وأعرض عن الإقرار بها يترتب عليها من النتائج الإيديولوجية والدينية الملحدة، بل إن الذين رحبوا بنتيشة ترحيبا واسعا، انظموا إلى هؤلاء الرافضين في الأعراض عن بعض المسائل التي تعالجها النيتشوية ولقد كان عدم الاهتمام بالمنهج الجينيالوجي الذي وضعه نتيشة هو أكبر دليل على ذلك[3].

إذا لا توجد دراسة عربية واحدة اهتمت بالمنهج الجينيالوجي ونقله إلى الثقافة العربية ومن ثم تطبيقه مثل بثية المناهج الحديثة في العلوم التراثية العربية الإسلامية فلماذا هذا الحذر من المنهج الجينيالوجي؟ قبل أن تجيب على هذا السؤال يتوجب علينا أن نعرف بهذا المنهج الذي تجاهله المثقفون العرب[4].

---

(1) جيل دولوز، نتيشة والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 7-8.

(2) جمال مفرج: الإرادة والتأويل، تغلغل النيتشوية في الفكر العربي، المرجع السابق ص92.

(3) فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1981، ص323.

(4) جمال مفرج: الإرادة والتأويل: مرجع سابق، ص 92-93.

ولذلك كان نتيشة يقول – مثلا – أنه ليس للدين معنى واحد لأنه يخدم قوى متعددة ومن هنا جاء النظر إلى الظواهر على أنها لغة، فهي تعبر عن شيء و إنما هي تدل وتعني ولذا يؤكد نتيشة أن ما يهمنا هو معرفة الكيفية التي تسمى بها الأشياء لا معرفة ما هيتها[1].

هذا، وتعدد معاني كل حدث هو تعدد يظل صامتا لنا، لأن المعنى الذي ندركه والذي يتجلى لنا مباشرة قد لا يكون، في الحقيقة، إلا معنى أضعف يخفي معنى آخر ويغلفه وهذا يعني أن اللغة تولد الاعتقاد بأنها تتجاوز صورتها اللفظية الصرف يقول نتيشة في هذا المعنى: "إن عبارة سيادة القوانين في الطبيعة القائلة بأن كل شيء يحدث كما لو أن..." والتي تتحدثون عنها بكل هذا الفخر، يا علماء الفيزياء، لا وجود لها إلا بفضل تفسيركم وسوء ثقافتكم اللغوية فهي ليست أمرا واقعا... بل هي تكيف بشري ساذج، وتشويه للمعنى... ولهذا حلم نتيشة بفقه اللغة جديد وفاعل يكون باستطاعته اختراق[2] الأقنعة، واكتشاف من ينتفع وراء المعنى الظاهر ولأية غاية تجري المحافظة على القناع، فقه اللغة لا يهتم بما يقوله الكلمات وإنما يهتم بمن يمتلك سلطة الكلام، وبالقوى التي تتصارع في اللغة ومن خلالها القوى التي تملك سلطة التأويل[3].

ثم يبين أن تغيير معنى كلمة، كأن يتحول "الخبر" إلى نقيضه، يعني أن شخص آخر أو قوة أخرى أو إرادة أخرى يستولي عليها، ويطبقها على شيء آخر لأنه يريد شيئا آخر،

(1) عبد السلام بن عبد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر (محاورة الميتافيزيقيا)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص32.

(2) ميشيل فوكو: جينيالوجيا المعرفة، ترجمة احمد السطاتي وعبد السلام بتعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1977، ص33.

(3) Rey (J. M) l'enjeu des signes "lecture de Nietzsche", les éditions du seuil, 1971,p17s

وهكذا فليست لتسميات الأخلاق وقيمها أية علاقة بالتعبير عن حقيقة مثالية أو حقيقة معطاة هذا أو لا يتوقف نتيشة في بحثه الفيزيولوجي عند دراسة المسار التاريخي لنشوء المفاهيم[1].

ج. هشام شرابي تحت شجرة نتيشة:

كان الدافع الذي دفع هشام شرابي إلى الفلسفة، حسب اعترافه، هو شعور داخلي وشوق عميق إلى الخروج مما كان فيه "الضلال" والتخبط الفكري وطيلة دراسته التخصصية في الفلسفة لم يندم يوما على دراسة الفلسفة لأنها أمدته بقاعدة فكرية واسعة ومكنته من تفهم القضايا المعرفية والمنهجية التي جابهها في عملية التحليل الاجتماعي والنقد الحضاري[2].

ولعل الذي كان بمثابة "المنقذ لشرابي" من الضلال النفسي والمعنوي دراسته في جامعة شيكاغو(أرلوند براحبشراسر)، أستاذ التاريخ الألماني ورئيس لجنة تاريخ الحضارة، التي التحق بها شرابي في مرحلة دراسته للدكتوراه وهو من جنسية ألمانية وترك بلاده عام 1937 فقد كان " براحبشراسر" بالنسبة لشرابي أبا وأخا كبير: [يقول شرابي] طيلة حياتي كنت اتكاليا بحاجة إلى مساعدة الآخرين وعطفهم، ولم أتخلص من النزعة كليا حتى على الصعوبات التي لقيها في الأشهر الأولى[3].

كانت علاقة شرابي ببرجستراسر تجربة مهمة... ولكن مهما كانت الدوافع التي غدت هذه العلاقة، فقد كانت هناك أيضا عوامل فكرية أساسية جمعت بينهما فقد قال شرابي لبراحبشترا في رسالة له: " إني أعتقد أنه من المستحيل لمن كان من إتباع نتيشة وعلى الأستاذ المحاضر أن يكون من إتباع نتيشة – وعلى الأستاذ المحاضر أن يكون من إتباع نتيشة– وعلى الأستاذ المحاضر أن يكون من إتباع نتيشة في أسلوبه – أن يناقش أفكار في

(1) فريديك نتيشة: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، البحث الأول، الفقرة 2

(2) هشام شرابي: ضرورة الماضي "سيرة ذاتية"، دار نلسن، السويد، ط3، 1998، ص 150.

(3) هشام شرابي، الجمبر والرماد " ذكريات مثقف عربي " دار نلسن، السويد، 1998، ص 143.

قاعة الدراسة... ولا يمكن تحقيق هذا دون إبراز الناحية الوجودية من حياته– عذابه وهيامه الدائم في جبال الألب...إنه من الممكن إشعال نار الفلسفة في قلوب الطلبة...

إن هذا التفسير هو صادق إلى حد ما، ففلسفة نتيشة هي صورة نفسه القلقة، وثقافته الرمانتيكية، وتجربته المؤلمة، وهويجرنا بسحره إلى شخصه بالذات، فكتبه سطرت جميعا بأسلوب المذكرات، وما هو بالكاتب الذي يظل في الخلفية[1].

فنتيشة إذا هو، في نظر شرابي، من أولئك المفكرين الذين يجمعون بين حياتهم وفكرهم في نسيج واحد، أو هو، كما يقول عبد الرحمن بدوي، واحد من أولئك الفلاسفة الذين يحيون أفكارهم قبل أن تنتجها عقولهم وقبل أن يعرضوها على الناس وكل رأي من آرائهم، وكل مذهب من مذاهبهم، يفرزونهم من دمائهم وكيانهم كله لهذا تراه حيا نابضا فيه حرارة الحياة، وما فيها من قلق وصراع واضطراب، ويكاد المرء يراه مخصبا بالدماء التي اقتضاها الصراع، ويكاد يلمس آثار التمزيق التي تركها المفكر مع فكرة ونضال فكرة مع سائر المسائل التي اشتبكت وإياه[2].

وهذا وإذا كان شرابي يحاول أن يلفت انتباه دارس نتيشة، في رسالته تلك على إبراز العلاقة بين فكره وحياته وهو في ذلك صائب، فإن محاولته تقترح، في الحقيقة، معالجة فلسفة نتيشة من منطلق متحيز، إذا أنه يفترض أن يكون الطلبة والأساتذة الدراسيين لنتيشة من إتباعه، وهذه التبعية هي الشرط الأساسي لتفهم نتيشة[3].

(1) أويغن فنك: فلسفة نتيشة، ترجمة إلياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974، ص 8.

(2) عبد الرحمن بدوي، نتيشة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1970، ص 6.

(3) هشام شرابي: الجمر والرماد، مصدر سابق، ص 144.

ثانيا: نقد المركزيات الدينية والأخلاقية:

تكمن أهمية الفلسفة النيتشوية كونها حاولت التخلص من هيمنة الميتافيزيقيا، بعد أن كانت الأساس في تشكل الفلسفة ذاتها، إذا حاول نتيشة قلب الفهم التقليدي للفلسفة والذي يرادف بينها وبين الميتافيزيقيا حتى انه عد الأب الروحي لكثير من الاتجاهات الفلسفية المعاصرة ك (الوجودية–التفكيكية) التي كانت الموضوعة المهيمنة فيها هي محاولة التخلص من هيمنة الميتافيزيقيا إذا لم نقل تفويضها، من هنا تطرح التساؤل التالي: ما أهمية موضوع النقد في فلسفة نتيشة وما علاقة كل من المركزيات الدينية والأخلاقية بمسألة تجاوز وتفويض الميتافيزيقيا بحكم أنها الأساس في تشكل الفلسفة؟

أ. نقد الفكر الديني:

قد يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: ما علاقة الدين بالميتافيزيقيا وما هي أوجه الشبه بينهما؟ يمكن الإجابة عن هذا السؤال بالقول إن البناء الأساسي لكليهما قائم على أسس مفارقة مجردة وبعيدة عن الواقع: ففيلسوفنا يرى أن الدين هو المدخل الأساسي على فكرتي "الله والعالم الآخر"، والمنظومة أو النسق الديني يتشكل من الله – الوحي– الملائكة – الأنبياء – العالم الآخر– الكنيسة– الأفكار والمعتقدات الدينية وحينما يقول نتيشة إن الله قد مات ونحن قتلناه[1] يعلن نهاية الميتافيزيقيا كفكرة مجردة و تهاوي المنظومة التي يتشكل منها النسق الديني وتساقط هذه الأجزاء واحد بعد الآخر ناقش نتيشة معظم الأطروحات الدينية بصورة نقدية، ويجب الوقوف عندها، لأنها لا تؤمن بالتطور والتقدم ثم نقد المؤسسة الدينية لأنها قائمة على مجموعة من الأفكار البالية التي لا تتلاءم مع طبيعة الفكر في عصره ومن أبرز هذه الأفكار التي ناقشتها نتيشة بإسهاب:

(1) نتيشة فريديك: ما وراء الخير والشر، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2003، ص 78 ثم يقول في ما وراء الخير والشر "لقد نقض الله بوصفه الأب نقضا جذريا و بوصفه القاضي" وكذلك أبطلت إرادته الحرة" نتيشة ما وراء الخير والشر، ص 89.

أ. فكرة الإيمان القائم على الأفكار الفطرية الموجودة في ذهن الإنسان، ويصبح الدين في ضوئها حاجة ومن ثم فطرة !

ب. الفكر الديني القائم على المعجزة والسحر الذي يتناقض مع العلم.

ت.فكرة المساواة التي جاءت بها الديانات وتحديدا الديانات الإلهية الثلاث، ويرى أنه لا معنى لهذا القول لأنه يتنافى مع الطبيعة، وأن هذه الديانات صنعت طبقة من الناس، طبقة متعالية على الجميع ولا يمكن التوجه إليها بالنقد، لأنهم يمثلون سلطة الله على الأرض وهؤلاء هم "رجال الدين".

ث.الرؤية السلبية للدين تجاه الحياة القائمة على إنكارها وعدها مصدر عذاب وألم وتمثل الخطيئة، ولا تمثل السعادة، بل هي ألم دائم للبشرية.

ج. الأخلاق الدينية القائمة على الشفقة والتسامح والزهد... وغيرها من أخلاق الضعفاء الذين يمثلون الصفوة في هذه الديانات[1].

بحسب نتيشة فإن الدين يظهر نتيجة الخوف والحاجة، التي يعانيها الإنسان وتحديدا الضعفاء والمهمشون في المجتمع، وفي تطور نتيشة – فأغلب الديانات ظهرت وسط هذه الطبقات ولم تظهر في المركزية الغربية والعربية، أو ما تسمى اليوم بالطبقة البرجوانية أو الأرستقراطية، فهو يقول " إن الدين لم يحتوى على حقيقة أبدا لأعلى شكل ركن من أركانه، ولأعلى شكل حكمة، لأن الدين إنما يولد من الخوف ومن الحاجة، وقد انسل إلى داخل الوجود من خلال سبل العقل التائه"[2].

هذا العقل القائم على الإيمان على الفطرة، لأن الحقيقة بنظر نتيشة مرتبطة بالواقع وليست فكرة فطرية أو قبيلة مجردة موجودة في ذهن الإنسان أو في العالم الآخر، فهو يرى

(1) عبد الله عبد الهادي المرهج: نقد المركزيات في فلسفة نتيشة، مرجع سابق، ص152.

(2) عبد الله عبد الهادي المرهج، مرجع سابق، ص152.

إن الفطرة الدينية بائسة والحياة الدينية شغلها الشاغل تمحيص الذات مجهريا،[1] والدين يمثل ثورة الهامش على المركز، وهذا ما ظهر واضحا وجليا في الديانات الإلهية الثلاث، فالعبيد والعامة صراع صاروا أسياد للناس وصار السيد وفقا لهذا المبدأ يساوي العبد وهنا بدأ صراع الطبقات بسبب الأديان[*]، فالإيمان المسيحي يدعوا إلى المساواة البشر أمام الله وهذا الحكم في الحقيقة يتولد مع غل الفقراء ضد أولئك الذين كانوا أقوى منهم[2].

فنتيشة يرفض إذا الدعوة إلى المساواة ويرى أن الناس طبقات هناك سيد وهناك عبد وهناك إنسان راق هو الهدف السامي للإنسان العادي، فالأول يمثل إرادة القوة، والآخر يمثل الضعف والوهن والاستلام لتلك الإرادة والسيد هو الإنسان الأرقى المهيأ لكي يصبح الإنسان الأرقى الصانع لأخلاقه وقيمة، وفي هذا الجانب عندما يقارن نتيشة العهد الجديد بالمانوية، يرى أن الأول بائس جدا قياسا بالمانوية، لأن الأخير تؤمن بالطبقية في المجتمع وهذا ما ترفضه المسيحية، إذا لا فرق بين إنسان و آخر أمام الله فيقول نتيشة " كم هو بئيس هذا العهد الجديد إذا قورت بمانو[3] كم رائحته نتنة[4].

وأما دعوات المساواة فهي مجرد أقوال مجردة فارغة من المحتوى وهذه الدعوات لا تتوافق مع ما جاءت به الكتب المقدسة، والكتاب "القرآن الكريم"[5]، وهنالك دعوة واضحة وصريحة إلو وجود طبقات في المجتمع، يقول نتيشة "ما زال أعظم الناس حتى اليوم ينحنون

(1) نتيشة: ما وراء الخير والشر، مرجع سابق ص 93

(2) فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مركز الإنماء القومي، فريق الترجمة، د. فؤاد شاهين 1993، ص 280

(3) مانو: تعني هنا المانوية، أي الديانة الفارسية القديمة التي تقول بالنور والظلمة

(4) نتيشة: أقول الأصنام، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرف، ط1، 1996، ص (59)

(5) قوله تعالى «قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون» القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية رقم (09) كذلك قوله «والله فضل بعضكم على بعض في الرزق» القرآن الكريم، سورة النحل الآية رقم (71)، فهي ترتكز على الطبقية فالعالم والحكيم لا يتساويان مع الإنسان العادي أو الجاهل، كذلك في الآية الثانية فهناك مستويات ودرجات بعضها فوق بعض في توزيع الرزق

أمام المقدس...؟ إنهم يظنون فيه وخلق علامة استفهام مظرهة الوهن البائس القوة المتفوقة التي أرادت أن تختبر نفسها باستبداد من هذا النوع... [1]

ب. نقد الفكر الأخلاقي:

تعد نظرية الأخلاق المطلقة:

إن نقد الميتافيزيقا وتعويضها ينسحب علي الأعراض المطلقة لقد أنكر نتيشه وجود قيم مطلقة أو معايير ثابتة لا تتغير ورفض حتى محاولة ربط القيم المطلقة بالواقع ،كما أنكر دور العقل في تأسيس المنظومة الأخلاقية القائمة علي وجود الخير في ذاته والحق في ذاته والواجب والفضيلة والقانون الأخلاقي، وقد ذهب نتيشه إلي ربط الأخلاق بالإنسان بوصفه كائنا متغيرا متطورا وكأننا نري نتيشه هنا نعود إلي مقولة السفسطائي[*] (الإنسان مقياس الأشياء جميعا) وهذه الرؤيا تؤدي إلي القول بالأحكام والمعايير والقيم بنسبة الأخلاق، يقول نتيشه في ذالك (أثناء تجوالي بين أنماط الأخلاق عثرت علي سمات معينة اقترنت بعضها ببعض حتي انكشف لي في النهاية نمطان أصليان أنيري بينهما فارق أساسي هناك أخلاق للسادة وأخلاق للعبيد[2].

أراد نتيشه للأخلاق أن ترتبط بالأرض وتتخلي عن كل صامت شأنه الارتباط بعالم أخر بالمعني اللاهوتي أو المثالي لهذه الكلمة[3].

لقد حمل نتيشه علي طروحات كانط في (نقد العقل العملي) وتحديدا علي فكرتي (الإرادة الخيرة) و(الأمر القطيعي)أو الواجب، كان كانط يري الواجب قانونا كليا فهو يقول

(1) نتيشة: ما وراء الخير والشر، مرجع سابق ص 87

(*) السقسطائي حصرا هنا هو بروتاغوراس، أنظر: أفلاطون، محاورة تيتياتوس ترجمة، أميرة حلمي مطر، الهيئة العامة للكتاب، 1973، ص 4

(2) تفويق الطويل: فلسفة الأخلاق... نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، القاهرة،ط3، 1976، ص 231 – 233

(3) قيس هادي أحمد: دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية، المكتبة العصرية، بغداد، 2004، ص 160

(ليس ثمة غير أمر مطلق واحد يمكن التغير عنه علي النحو التالي :"افعل كما لو كان علي مسلمة فعلك، أن ترتفع عن طريق إرادتك إلي قانون طبيعي عام[1] "فيقول إن تحقيق الخير الأخلاقي يفترض اتفاقا للطبيعة المحسوسة وفقا لقوانينها "مع الطبيعة ما فوق المحسوسة،وهذا الاتفاق يظهر في فكرة تناسب السعادة . أي في فكرة الخير الأعظم كجملة في موضع العقل الخالص العملي"، لكن إذا طرح السؤال كيف يكون الخير الأعظم ممكنا بدوره إذا كان قابلا للتحقيق يتم الاصطدام بالتناقض لأن القانون الأخلاقي لا يشرع علي العالم المحسوس[2].

لقد تأثر نتيشه بالاتجاهات الوضعية العلوية التي أعلنت ثورة علي التفكير الغيب والميتافيزيقيا وأرادت و أرادت أن تفسر كل شيء ب "العلم" والطريقة العملية التي تتعامل مع جميع الموضوعات كظواهر لاشيء من ورائها ، وليس كجواهر أو أشياء في ذاتها بما في ذالك الدين والأخلاق[3].

ج. العدمية و أثر النقد النتشيوي في الفلسفة المعاصرة:

العدمية في فلسفة نتيشه:

للعدمية في فلسفة نتيشه معان عدة مختلف عن بعضها البعض، لكنها تتوحد في كونها عملية نفي و إلغاء وسلب لوجود ما، إن كان العالم الظاهر أو عالم المثل، وفكرة العدمية تتشكل محورا مهما من محاور فلسفة نتيشه، وهي فكرة متجذرة في التراث الفلسفي، وعندما يتناول نتيشه العدمية كأنها يتناول تاريخ الفلسفة، فالمعنى الأول من العدمية يسميه بالعدمية السلبية وهي كما يقول نتيشه (انحطاط وارتداد القوة الروح) أي هيمنة الروح الإنكارية على

(1) إيمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، لغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة، القاهرة، 1960، ص 61-62.

(2) جيل دولوز: فلسفة كانط النقدية، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1997، ص 68-69.

(3) محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص 47.

الفلسفة، وفي الحضارة الغربية وسيادة مبدأ تبخيس الحياة والوجود حيث يصبح السلب هو المظهر الأساس للوجود، والنفي والإنكار هو المظهر الأساس للإرادة، فيصبح النموذج الإرتكاسي هو النموذج المهيمن على الحضارة و الإنسان[1].

والعدمية وفقا لهذه الرؤية تعني إرادة نفي و إعدام للحياة، وليست الإرادة هي التي تنفي نفسها في القيم العليا، إنما القيم العليا التي ترتبط بإرادة النفي وهذه هي العدمية بمعناها الأول أو صورتها الأولى التي تسمى بالعدمية السالبة وهي فعل، أما المعنى الثاني، فيسميه نتيشة بالعدمية الفاعلة وهي علامة على زيادة في الروح[2].

ب. أثر نقد نتيشة للميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة :

أثر فكر نتيشه النقدي تأثيرا بارزا في الفكر الفلسفي المعاصر،وبدا أثره واضحا في فلسفات القرن العشرين، وكان حضوره مميزا في الفلسفة الوجودية والتفكيكية ،وكان أكثر ما يميز أثر فلسفة نتيشه علي هذه الفلسفات هو نفسه للميتافيزيقا، وهذا ما استشرفه نتيشه في كتابه ما وراء الخير والشر فهو يقول «هؤلاء الفلاسفة المقبلون هل سيكونون أصدقاء" الحقيقة "الجدد؟ محتمل جدا لأن كل الفلاسفة أحبو حقائقهم حتى لأن لكنهم لن يكونوا بالتأكيد دوغمائين وذالك يعني أن الفلاسفة المقبلين لن يكونوا جزءا من المنظومة الميتافيزيقية الغربية التي لازمت الفكر الغربي ولن تكونوا حقائقهم مطلقة ولا أفكارهم مقدسة مثلما كانت عند الفلاسفة الدوغمائيين.

وكأن فلاسفة المستقبل امتداد له فجاءوا كما أرادهم متأثرين بفلسفته وكانوا كما توقع نقله جذريا في الفكر الفلسفي الغربي انتقل فيما من المركزية إلي غيابها ، كان نتيشه اللاعب الرئيسي في هذا التغير والتطور في الفكر الفلسفي الحاضر الدائم في المنظومة

(1) محمد أندلسي: العدمية كانحطاط وكأفق، مقالة منشورة على الانترنت، ص 2، أنظر أيضا ستيبان أوديت، على دروب زرادشت، ص3، المعطيات نفسها

(2) عبد الله عبد الهادي الموهج: نقد المركزيات في فلسفة نتيشة، المرجع السابق، ص 193

الفلسفية المعاصرة فجاءت الفلسفات الناقمة علي الميتافيزيقا ومركزية التفكير امتداد له ،وخاصة في فكر هيدجر وفوكو ودريدا للبرهنة علي أن فلسفة للبرهنة علي أن فلسفة ما بعد الحداثة جاءت متأثرة بفكر نتيشة النقدية وليست مقاطعة أو مغايرة له في كثير من طروحاتها وأفكارها[1].

فكل من ياسبرس و هيدجر وفوكو ودريدا ودلوز،له مؤلف مشهور عن نتيشه ، وكثيرا هي الأفكار والطروحات النتيشوية التي يتبناها الفكر الفلسفي المعاصر فالجينيالوجي[2] أو العودة إلي الأصول التي تتخذ عند إتباع فلاسفة ما بعد الحداثة أسماء مختلفة بدءا من الاستذكار عند (هيدجر) والحفريات عند (فوكو) والتفكيكية عند (دريدا) بوصفها المجاوزة الفعلية للميتافيزيقا جاءت بمثابة قراءة معينة لفلسفة نتيشه الخطاب الفلسفي في عصر الحداثة تمسك بحب الحقيقة والمعرفة الخالصة والفكر المنفصل عن الجسد ،كما تمسك بالنظر إلي الأشياء في ذاتها وفي جوهرها[3].

فجاء خطاب عصر ما بعد الحداثة مناقضا لهذا الخطاب الحداثي قائما علي نقض تلك الأفكار، فهذا الخطاب يدعو إلي غياب أي مركز أو مرجعية أو معيارية ولهذا فإن أنصار ما بعد الحداثة يعدون مجرد استخدام كلمات مثل (يقين) أو (دوافع) أو(حق) أو(ذات) سقوطا في الميتافيزيقا الميتافيزيقا، وذالك باعتبار أن مثل هذه الكلمات تتضمن إشارة إلي حقائق كلية وثنائيات متعارضة[4].

(1) عبد الله عبد الهادي المنهج : نقد المركزيات في فلسفة نتيشه مرجع سابق ص 198 .

(2) المعنى الحرفي لكلمة "جينيالوجيا": هو دراسة نشأة وتكوين لإثبات النسب والوقوف عند الأصل، عصام عبد الله، الجذور النيتشوية لما بعد الحداثة مجلة الفلسفة والعصر، العدد الأول، السنة الأولي، تشريف الأول أكتوبر، 1999 ص ص240، القاهرة، المجلس الأعلى لثقافة لجنة الفلسفة.

(3) فتحي التريكي: الفلسفة الشريدة، مركز الإنماء القومي، بيروت د، ط، ص27، ص28.

(4) عبد الوهاب المسري وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1 2003، ص84.

خلاصة الفصل:

نستنتج من خلال هذا أن نتيشه شكل علامة فارقة في تاريخ فلسفة الأخلاق،وأحيط باهتمام بالغ من قبل الباحثين والفلاسفة، ومنهم من عارضة بشدة ، وفند أفكاره ،ومنهم من أيده وتأثر به وهناك من اتخذ موقفا متوازنا من فلسفته بين المعارضة والتأييد .يقول هنري ليشتانيرجر: أما النظر إلي نتيشه من حيث الوجهة الأخلاقية فقد لامه النقاد علي غرائزه القاسية وأنانيته الطاغية، وقسوته البالغة علي الضعفاء،علي أنه بعض أراء لو لم يسئ الناس فهمها،لألت إلي نتيجة أخلاقية حسية فليس يكفي المرء أن يكون فوضويا هداما ،طارحا علي ظهره التقاليد ليجيا، محققا مذهب نتيشه، وليس نتيشه برفيق أولئك الذين يبعثون بالسوبرمان، وهذا نبته "زرادشنت" كان يطلب إلي الذين يرغبون إتباعه، أن ينفذوا مذهبه بقسوة وشدة ومن الجدير بالذكر أن نتيشه بشخصيته وسلوكه إنما يجسد أفكاره وفلسفته ففي حين أن هناك الكثير ممن لا تتطابق أنماطهم السلوكية مع نظرياتهم الفلسفية، نجد أن ثمة تشابها كبيرا بين نتيشه في سلوكه وشخصيته وبين الفلسفة التي نادي بها وأخيرا أجد خير ما نادي به نتيشه هو دعوته الحثيثة للنقد والمراجعة ،وضرورة السعي وراء التطور المستمر، مهما وصل الإنسان من موقع للقوة ،فإن يحافظ علي هده المرتبة داخل الزمن الدائري حتى يأخذه العودة الأيدي إلي مراتب أعلي وأعلي ولا يعود به إلي الوراء».

الخاتمـــــــة

خاتمة:

لقد حاولنا في هذا البحث بقدر الطاقة أن نقدم دراسة موضوعية لتطور فكرة النظم الأخلاقية عند نيتشه، ومن خلال عرضنا لتفاصيل هذا البحث نستنتج أن:

فلسفة نيتشه شكلت مفصلا مهما من مفاصل الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر، فقد أقام فلسفته على أسس إلغاء وتحطيم الفكر السابق له.

وأهم ما يميز عمل فريديريك نيتشه أنه يعد من النقاد الذين استطاعوا إعادة صياغة جديدة للمفاهيم وذلك لأنه آمن بالعلم كموقف نقدي للميتافيزيقا والأخلاق المطلقة.

إن قطيعة نيتشه مع التراث الميتافيزيقي التقليدي، فتحت آفاقا جديدة تقوم على أنقاض ذلك التراث الذي عمل على تقويضه بمطرقته الهدامة، وهذا ما بدا أثره واضحا في الفكر الفلسفي المعاصر، وتحديدا تحطيم الميتافيزيقا في فلسفة هايديجر وأركيولوجيا فوكو وتفكيكية دريدا.

لقد اعتمد نيتشه في ثورته على الموروث الأخلاقي بما يتكئ عليه من مرجعيات دينية وميتافيزيقية وما فيه من سلب لقوة الإنسان وإرادته مما دفعه إلى أن يشعل ثورة نقدية على جنيالوجيا الأخلاق ليؤسس لأخلاق جديدة تنطلق من النفي التام لكل ما هو غيبي.

كما أنه يعتقد أن نصه مقدسا وهذا ما يجعله في مرمى النقد، فأفكاره تمتلك الحقيقة وصادقة، يضاف إليها فكرتي إرادة القوة والإنسان الأرقى، وهذا ما عده البعض فكرا ميتافيزيقيا لدى نيتشه لأنه وضع مركزيات جديدة حلت محل المركزيات التي رفضها.

فلقد نجح نجاحا كبيرا في إلقاء الضوء على إرادة القوة وتأثيرها البالغ الخفي على السلوك الإنساني.

وقد حاولت الدراسة رصد أثر فلسفة الأخلاق النيتشوية في الفكر العربي الحديث والمعاصر عبر إلقاء الضوء على مجموعة من المفكرين والمؤلفين العرب، على سبيل المثال لا الحصر ممن تأثروا بتلك الفلسفة وحاولوا استخدامها أداة للتنوير وبمقدورنا أن نصف تلك المرحلة بأنها مرحلة البحث عن خلاص، بغض النظر عن ما توصلوا إليه من صواب أو خطأ ومن وجهات نظر المتأخرين، كما اتضح لنا أن ثمة فروقا في مواقف كل من هؤلاء المفكرين والمؤلفين ما بين ناقل محايد، ومناقش مجادل، في محاولة لتسويغ تلك الفلسفة ليتم قبولها في الفكر العربي:

1- كان "فرح أنطون" مجرد ناقل وبحذر شديد لفلسفة نيتشه غير معلقا سلبا أو إيجابا على الآراء الواردة فيها.

2- حاول "فيليكس فارس" أن يقول نيتشه ما لم يقل ويدعي أنه كان يخفي إيمانا تحت هذا الإلحاد الشكلي، لذلك نجده يقول: "ليس في عظات زرادشت" ما يزعزع عقائدنا أو ينال من إيماننا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر باللغة العربية

- إمام عبد الفتاح إمام: فلسفة الأخلاق، دار الثقافة، القاهرة، 1988.
- أويغن فنك: فلسفة نتيشة، ترجمة إلياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974.
- بدوى عبد الرحمان: نتيشه، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، 1956.
- الجابري: فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، القسم الأول، دار الشؤون الثقافية العامة، 1993، بغداد.
- جيل دولوز، نتيشة والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.
- الراوي عبد الرزاق: صوت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، ط، 1993، لبنان.
- زكريا فؤاد: نيتشه، دار المعارف، القاهرة، 1956.
- طرابيشي جورج: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، 1987.
- عبد الرحمن بدوي، نتيشة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1970.
- عبد السلام بن عبد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر (محاورة الميتافيزيقيا)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2000.
- عبد الوهاب المسري وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003.
- فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مركز الإنماء القومي، فريق الترجمة، د. فؤاد شاهين، 1993.

- محمد اندلسي: افول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2015.
- نتيشة : هكذا تكلم زراد شت، ترجمة محمد الناجي، الدار البيضاء ، ط1، 2006، المغرب.
- نتيشة: أقول الأصنام، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرف، ط1، 1996.
- نتيشه فريدريك: هكذا تكلم زرادشت، فليكيس فارس، المكتبة الثقافية، بيروت.
- نتيشه: ما وراء الخير والشر، ترجمة جيزيلا فالورا الحجار، دارغروب، د.ط، بيروت.

ثالثا: المراجع باللغة العربية:

- إيمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، لغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة، القاهرة، 1960.
- توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق.. نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، القاهرة، ط3، 1976.
- جمال مفرج: الإرادة والتأويل (تغلغل النيتشوية في الفكر العربي)، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2009.
- جيل دولوز: فلسفة كانط النقدية، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1997.
- حسن قبيسي: أصل الأخلاق وفصلها، نيتشه فريدريك، المؤسسة الجامعية للدراسات ط1، 1981.
- الشرقاوي: سلامة موسى المفكر والإنسان، دار الهلال، القاهرة.
- عبد الرزاق بلعقروز: نتيشه ومهمة الفلسفة: قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط 1، 2010.

- عبد الرزاق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة، منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2010.
- عبد الله عبد الهادي المرهج: نقد المركزيات في فلسفة نيتشه، دار الروافد الثقافية، ط1، 2012، بيروت.
- غالي شكري، سلامة وأزمة الضمير العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت، ط4، 1983.
- فتحي التريكي: الفلسفة الشريدة، مركز الإنماء القومي، بيروت د، ط.
- فريديك نتيشة: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، البحث الأول، الفقرة 2.
- فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1981.
- فؤاد زكريا: نتيشه: نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، ط2، مصر.
- قنصوة صلاح: نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، د.ط،1981، القاهرة.
- قيس هادي أحمد: دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية، المكتبة العصرية، بغداد، 2004.
- كمال البكاري: ميتافيزيقا الارادة (ارخياء المعنى في الذات والسلطان)، دار الفكر، بيروت، ط1، 2000.
- ماضي احمد: سلامة موسى والفلسفة، المؤتمر الفلسفي العربي حول الفلسفة المعاصرة، 1987، عمان الأردن، الجامعة الأردنية، مواقف ودراسات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

- ميشيل فوكو: جينيالوجيا المعرفة، ترجمة احمد السطاتي وعبد السلام بتعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1977.
- نهلة الجمزاوي: فلسفة الأخلاق عند نتيشة وأثرها في الفكر العربي الحديث والمعاصر.
- نهلة الجمزاوي: فلسفة الأخلاق عند نيتشه وأثرها في الفكر العربي الحديث والمعاصر، سلامة موسى أنموذجا، دار فضاءات للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2013.
- نهلة الحمزاوي: فلسفة الأخلاق عند نتيشة وأثرها في الفكر العربي الحديث والمعاصر " سلامة موسي انموذجا "، دار فضاءات، ط1، 2013، عمان، ص44.
- نيتشه فريدريك: ما وراء الخير والشر، ترجمة جزيلا فالورا الحجار دار الغروب، بيروت.
- نيتشه فريدريك: هذا هو الإنسان، ترجمة على مصباح، منشورات الجمل، ط1.
- هجران عبد الاله أحمد الصالحي: فكرة الجسد، دار الفرقد، ط1، 2014، سوريا.
- هشام شرابي: ضرورة الماضي "سيرة ذاتية"، دار نلسن، السويد، ط3، 1998.
- هشام شرابي، الجمبر والرماد " ذكريات مثقف عربي "دار نلسن، السويد، 1998،
- يسرى إبراهيم، فلسفة الأخلاق ، فريدريك نيتشه، ط1، 2005.

رابعا: المجلات والدوريات

- محمد أندلسي: **العدمية كانحطاط وكأفق**، مقالة منشورة على شبكة الانترنت.

خامسا: المصادر باللغة الإنجليزية

- Nie tzsche, bevond good and evil, partone, sec 7.
- Nie tzsche. One the geneology of normals, first essay, sec10.
- Nie tzsche. The twi light of the idols, the problème of sucrates, ses 11.

- Rey (J. M) l'enjeu des signes "lecture de Nietzsche", les éditions du seuil, 1971.

سادسا: الموسوعات والمعاجم

- عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

الفهـــــرس

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ–د
الفصل الأول: السياق التاريخي لتطور فكر نتيشه	
تمهيد	6
نيتشه الفكر والشخصية: الفكر والشخصية	7
فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche)	7
أ. حياته وتعليمه: (1844–1900)	7
ب. نشأته الفكرية (مصادر فلسفته)	8
ج. مصادره الفكرية:	8
ثانيا: الإطار الإشكالي للسؤال الأخلاقي	10
أ. التطور الأخلاقي	10
ب. الأخلاق باعتبارها نظرية التراتب بين البشر	10
خلاصة الفصل	12
الفصل الثاني: المرجعيات الفلسفية والتاريخية الأخلاقية في فكر نيتشه	
تمهيد	14
أولا: نقد الأخلاق التقليدية	15
1.1. المحاولات التأسيسية النقدية للأخلاق	15
أ. نقد الأخلاق الفلسفية	15
ب. نقد الأخلاق المسيحية باعتبارها أخلاقا للعبيد	17

ج. التعارض بين دوافع الأخلاق المسيحية ومبادئها	19
د. الأخلاق المسيحية	21
ثانيا: تأسيس الأخلاق الجديدة على إرادة القوة	22
1. الطابع الإستمولوجي التأويلي للأخلاق	22
أ. إرادة القوة	23
ب. الوجود بوصفه تفسيرا	24
ج. القوة في المجتمع	25
د. العود الأبدي ونتائجه الخلقية	26
2. الركائز الأساسية لتأسيسة الأخلاق النيشتويه	27
أ. القوة بوصفها معيار للتقييم الخلقي	27
ب. العلو على الذات ومعناه الحقيقي	28
ج. الإنسان الأعلى بوصفه هدف أخلاق القوة	29
خلاصة الفصل	31
الفصل الثالث: أثر الفكر الأخلاقي لفريدريك نيتشه	
تمهيد:	33
أولا: تأثير نيتشه على الفكر العربي (الفلسفة الأخلاقية النيتشويه وأثرها في الفكر العربي والمعاصر بين الرفض والتأييد).	34
أ. نيتشه عند دعاة التقدم العرب	34
ب. المنهج الجينيالوجي بين ترحيب المفكرين العرب ورفضهم	37
ج. هشام شرابي تحت شجرة نيتشه	39

ثانيا: نقد المركزيات الدينية والأخلاقية	41
أ. نقد الفكر الديني	41
ب. نقد الفكر الأخلاقي	44
ج. العدمية وأثر النقد النيتشوي في الفلسفة المعاصرة	45
خلاصة الفصل	48
الخاتمة	**51-50**
قائمة المصادر والمراجع	**57-53**
فهرس المحتويات	**61-59**

الكلمات المفتاحية للبحث:

eternalRécurrences-	العود الأبدي
Superman	الإنسان الأعلى
Sublimation	التسامي
Theoryofevolution	نظرية التطور
Criticisme	النزعة التقليدية
Jugement-moral	حكم خلقي
Morality-master	أخلاق القطيع
Moralité- mob	أخلاق السادة
willto power	إرادة القوة
Dionysien	ديونيسيوسي
Décline	انحطاط

الملخص:

جاءت هذه الدراسة للبحث في نقد النظم الأخلاقية لفريديريك نيتشه الذي كان ذا أثر واضح كما رأينا في معالم التفكير في القرن العشرين، فكانت سيطرته على الفكر الغربي في ذلك القرن سيطرة تكاد أن تكون مطلقة وهذا نظرا لما قام به في فلسفته التي بناها على أسس إلغاء وتحطيم الفكر السابق له، على الرغم من ظهور بعض الملامح في طروحاته. فلعل أفضل ما جاء به هو دعوته لتجاوز ذاته وفلسفته، ففلسفته وحياته وحدة واحدة وهذا لأنه جعل من فكره حياته، فقد صنع فلسفة دنيوية بشرية تعلي من شأن الحقيقة المادية والجسدية للإنسان، وهذا كله انطلاقا من رفضه القطعي لأن يتحول هو الآخر لصنم جديد بتحطيمه لأي بناء كان.

Résumé:

Cette étude est venue examiner la critique des systèmes moraux de Friedrich Nietzsche, qui a eu un impact clair comme on l'a vu dans les paramètres de la pensée au XXe siècle. Son contrôle sur la pensée occidentale à ce siècle était presque absolu, et cela est dû à ce qu'il a fait dans sa philosophie, qu'il a construite sur les bases de l'annulation et de la destruction de sa pensée précédente, bien que certains traits soient apparus dans ses thèses. Peut-être que la meilleure chose qu'il a apportée était son appel à se transcender et à transcender sa philosophie, car sa philosophie et sa vie étaient une unité, et c'est parce qu'il a fait de sa pensée sa vie.